

جمعية المركز العالمي للتوثيق

والدراسات والتربية الإسلامية

سلسلة

نحو وعي إسلامي

١



بقلم

الدكتور/ محمد عمارة

عربي .. وقرة عين احمد

هذا الكتاب الصغير - يا صغيري - هو
اول ما خرجت المطابع في بعد سنوات
الذي مثل بالنسبة الى سعادة غامرة

جمعية المركز العالمي للتوثيق
والدراسات والتربية الإسلامية

سلسلة
نحو وعي اسلامي

لقد اكتشفت، حين لي، وحين لي،
معنى أن «أعز الولد» ولد أولاد
فحينما يحب بيدينا به يفرح لنفسه ولولده
وعندما يحب ولده، يفرح لنفسه ولولده
والفائدة .. فتكره الفرح أعظم وأسر
أكثر .. ثم أن هناك معنى «الاستعداد»
ولا أذكر في «في سنوات»

فكر التنوير

كأنه يدنا به في قد قدرت به
السنوات .. هذا الذي يجعل لهذا الاستعداد
بين معنى جميل وعميق لا يدركه يدنا به

العلمانيين والإسلاميين

العلماء
أنت سعيد عبدك - يا أحمد - سعادة فاق
كل أسباب السعادة التي أنعم الله علي بها فيما مر
سنوات .. كل ما أعناه هو أن ينشأ الله
سجانه وتعالى، نشأة طيبة صالحة .. وأما بعد
بالسلام، ويعز بك .. اللهم والى الله .. آمين

الدكتور/ محمد عمارة

تكونه قرة عينه لكل أسرة، يا صغيري
ويا قطعة عزيزة وغالية به فؤادي
١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم (وقل ربى زدنى علماً)

فى شهر مارس ١٩٨٧ م عقد بمقر جامعة الدول العربية المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك شعاره « تربية الإنسان المسلم ». قام على تنظيمه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالتعاون مع الأزهر الشريف ورئاسة فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتدعيم من رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ووزارة الاوقاف المصرية وبنك فيصل الإسلامى المصرى وعلى هامش هذا المؤتمر انعقدت ارادة جماعة من العلماء والمفكرين والمهتمين بالعمل الإسلامى من داخل جمهورية مصر العربية وخارجها على إنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وانطلاقاً من الحاجة الى مثل هذا المركز وتنشياً مع الصحوة الإسلامية التى يعيشها العالم الإسلامى وتقديراً لدور العلم والإعلام والتكنولوجيا والمعلومات صدر عن المؤتمر المذكور توصية بإنشاء « مركز عالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية ». وتنفيذاً لهذه التوصية تم اشهار المركز كجمعية مركزية سجلت تحت رقم ١٦٨ بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٩ م وفقاً لقانون الجمعيات رقم ٣٢

لسنة ١٩٦٤ . وتم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة (احد عشر عضواً) برئاسة الاستاذ الدكتور/ حسن عباس زكي ، وبدأ نشاطه وفقاً للاهداف المرجوه والوسائل المعينة على تحقيقها والتي تضمنتها مطوية خاصة . ولما كان من أهداف المركز تنظيم الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات فقد تم بعون الله للمركز نشاطاً في هذا المجال وتحقيقاً لأحد اهداف المركز الذي ينص على اعداد مكتبة اسلامية متخصصة ومتجددة وتسجيل المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المجلس في مطبوعات تنشر على نطاق واسع .

فإن جمعية المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية يسرها ان تقدم باكورة انتاجها في مجال نشر الثقافة الإسلامية مستفحة بما تراه خيراً كثيراً وهو المحاضرة القيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور محمد عماره وموضوعها .

فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين

وإذا كان الموضوع اليوم في بؤرة شعور المثقفين ومن محاور اهتماماتهم فإن صاحب الموضوع أحسن في عرضه بدقة وامانه وموضوعيه وأستاذن القارئ في أن أقدم انطباعي عن الموضوع وقد شرفت بالحضور والإستفادة . والمحاضر والكاتب الاستاذ الدكتور

محمد عمارة غنى عن التعريف فهو مفكر إسلامي شديد فيحيا يراه حقاً
مربط صلب مكته الله من ثغرة فوقف منها واهباً لها حياته وقلعه وما
يملك ، قد رأى المركز العالمى للمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية
تقديرأ منه لأهمية الموضوع ودسامة ما ورد فى المحاضرة أن تقدمه
للمقارئ فى كتاب

محتوى الكتاب

بدأ الباحث بعرض مصطلح « التنوير » فالتنوير لغةً وقت إسفار
الصبح وبزوغ أشعة نور الصباح والرسول ﷺ يقول « نوروا بصلاة
الفجر » والقرآن نور الإسلام ، والرسول نور ، والحكمة نور ، والصلاة
نور . فالمسلم بهذا المفهوم مستنير وله تنويره الإسلامى الخاص المستمد
من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وألقى الضوء على مفهوم المصطلح فى الفكر الغربى باعتباره
عنواناً على نسق فكرى محدد يسمى « فكر التنوير » ، ومع مرحلة بعينها
تسمى عصر التنوير ، ومع مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ويقابل
هذا فى الفكر الإسلامى كما ذكره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنه
« عنوان على نسق فكرى يمثل حركة فلسفية فى القرن الثامن عشر
تعتمد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الأخلاق وتقوم على

فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد .

فالتنويريون اتخذوا لهم أئمة ودعاة وهداة منهم فرنسيس بيكون ، وفولتير ، روسو ، ومونتسكيو ، وجوته ، وكانت ، وغيرهم ، بينما الاسلاميون يتخذون أئمتهم وهداتهم في الفكر والرأى والأخلاق نبينهم محمد ﷺ الذى قال الله عنه « وما ينطق عن الهوى » وقال عنه « وإنك لعلى خلق عظيم » وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بطاعته « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

مشان بين الاتجاهين .. « اتشهدون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ » .

وترجع أهمية الكتاب فى أنه ألقى الضوء على حقيقة فكر الرموز الإسلامية الذين يحسبون ضمن سلة التنويريين أمثال على عبد الرازق .. وطه حسين .. وسلامه موسى والدكتور هيكل ، واحتكم إلى نصوصهم ، وأبان فى غير لبس براءتهم من بعض ما نسب إليهم .. فالطهطاوى مثلاً فى وصفه للحضارة الغربية يميز فيها بين « علوم التمدن المدنى وبين الفلسفات » ويقول : « إنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية » ويصف بلاد الفرنج العظيمة بأنها مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات ،

وإن كانت من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية .. التي تجلب
الأنس ونزير العمران .. ! ويستشهد المؤلف بمقولات جاءت في كتاب
الأعمال الكاملة للطهطاوي مثل .. كل رياضة لم تكن سياسة الشرع
لا تضر العاقبة الحسنى ولا غيرها ^{بغيرها} بالنفوس القاصرة ، الذين حكموا
عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسناً وتقييماً ، وظنوا
أنهم فازوا بالمقصود ، بتعدى الحدود ، فينبغي تعليم النفوس السياسة
بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لا يحظر
جلب المنافع ولا درء المفاسد ، ولا يتأقن التجددات المستحسنة التي
يخترعها من منحهم الله تعالى العقل وألهمهم الصناعة .

وكذلك فعل الباحث في طرح فكر جمال الدين الأفغاني الذي
دعا إلى بناء النهضة الحديثة مع الأصول الشرعية القديمة الموروثة ..
وحذر من البدء من حيث انتهى الأوروبيون .. فاستشهد بأقواله في
مجالات متعددة ، ورأيه في موضوعات شتى كقوله في التقليد واقتباس
النمط الغربي : « لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين
أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء عليها وطلائع لجيوش
الغالبين ، وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ،
ثم يشتون أقدامهم » ١٩ . ويتسأل المؤلف مع أي فريق يقف الأفغاني ؟

مع التجديد الإسلامى ؟ أم مع التنوير الغربى العلمانى ؟؟

أما الإمام محمد عبده فقد نفى عنه المؤلف مقولته الشهيرة التى تنسب إليه هى إنه حينما سافر إلى الغرب قال : « رأيت هناك مسلمين ولا إسلام ، ورأيت هنا إسلام ولا مسلمين » وبين بوضوح من أقوال محمد عبده وكتاباتهِ والنصوص الثابتة ما يؤكد أن هذه العبارة مذبذبة عليه فهو الذى قال عن الحضارة الغربية : « إن هذه المدنية هى مدنية الملك والسلطان ، مدنية الختل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو « الجنية » عند قوم ، « واللبيرة » عند قوم آخرين .. ولا دخل للإنجيل فى شئ من ذلك ! »

ويسوق المؤلف نصوصاً عدة تثبت زيف ما ادعاه العلمانيون من تغيير فى فكر الإمام محمد عبده الذى تحدث عن إسلامية النهضة ، وإسلامية الدولة والعمران مما يتفق علاقة فكره بحفاهيم التنوير الغربى التى تلغى الدين وتكتفى بالعقل والتجريب .

وبهذا الأسلوب الرفيع والمنتهج الرصين استمر المؤلف فى عرض فكر الشيخ على عبد الرازق تحليلًا واتصافاً للرجل الذى تراجع عن رأى له ورد فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ورفض أن يعاد طبعه مرة أخرى ، وفى هذا الصدد يستمتع القارئ ببعض الأسرار التى توصل

إليها الكاتب بجهد ومتابعة ومشقة بحثاً عن الحقيقة التي هي ضالة المؤمن .

وينتقل بنا المؤلف إلى فكر طه حسين تحقياً وتحليلاً ونقداً .. فكشف الغطاء عن تراجع د. طه حسين عن بعض افكاره التي وردت في بعض كتبه مثل « مستقبل الثقافة في مصر » و « في الشعر الجاهلي » وكان في هذا منصفاً للدكتور طه حسين حيث يقول المؤلف : « إن طه حسين الذي قال إن السياسة ليست مقوماً من مقومات الدولة ، والذي قال ، لا علاقة للدين بالسياسة .. وإن اللغة ليست مقوماً من مقومات وحدة الدولة هو نفسه بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ م قال : « إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية .. فغير بذلك موقفه وتراجع عنه » وهو الذي قال : عندما اختير عضواً في لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ م .. « إذا وجد نص ديني صريح ، فالحكمة والواجب يقتضيان ألا تعارض النص ، وأن نكون من الحكمة ومن الاحتياط بحيث لا نضر الناس في شعورهم ، ولا في ضمائرهم ، ولا في دينهم ... » وقال أيضاً : « إذا احترمت الدولة الإسلام فلا بد أن تحترمه جملة وتفصيلاً .. ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتاب وكفرأ ببعضه الآخر .

وينتقل بنا المؤلف الواسع الاطلاع من دوحة إلى دوحة كالطائر

الخفيف ، ويقف متأملاً في ثورة ١٩١٩ م وينفض عنها وعن زعيمها
سعد زغلول إدعاء العلمانية .. ويعرض في عجالة أفكاره وآراءه من
نصوص ثابتة أبرزها نقده لكتاب علي عبد الرازق « الإسلام وأصول
الحكم » نقداً لا ذعاً لا يترك فرصة لمن يدعى علي الزعيم أنه علماني
وبالأسلوب الرصين ذاته يتعرض المفكر الدكتور محمد عماره لآراء
د. محمد حسين هيكل وأفكاره حيث بدأ حياته الأدبية رئيساً لتحرير
جريدة السياسة ومن هذه القاعدة دافع هيكل عن علي عبد الرازق
وكتابه المشبوه « الإسلام وأصول الحكم » وكان ذلك عام ١٩٢٥ م .
حتى إذا بلغ الرجل تمام نضجه السياسي والأدبي والفكري عام
١٩٣٠ م . بدأ مشروعه الإسلامي ونشر كتابه « حياة محمد » وفي
عام ١٩٣٥ م نشر كتابه « في منزل الوحي » وكلها قياسات من نور
.. وبذلك اعتبر د. محمد حسين هيكل نموذجاً للإنسان حينما يتطور
فكره ، فينفض عن نفسه غباراً علق بشيابه في أوائل عهده بالكتاب
شجاعاً غير هباب ولا وجل فالرجوع إلى الحق قيمة أصيلة وفضيلة
عظيمة . ويعرض المؤلف قياسات من كتاباته المضيئة المعبرة عن هويته
الإسلامية . وعلى هذا النسق ينتقل بنا المؤلف إلى تاريخنا الحديث
بالمناهج ذاته الذي التزم به فيتعرض لفكر سلامة موسى ، وجابر عصفور .

أما تعليقات بعض الحضور على هذه المحاضرة القيمة فقد جاءت
دليلاً على أن الموضوع ذا أهمية خاصة ويشغل بال المثقفين

إن من يقرأ هذا الكتاب يجد أن الأستاذ الدكتور محمد عماره
منصف في نقده ، عميق في بحثه ، أمين في فكره ، مدافع عن
عقديته : فجاء كتابه هذا شعاعاً من الضوء المنير ومنهجاً سورياً يهتدى
به الباحثون . وهو بهذا الفكر يكون قد أضاف إلى المكتبة العربية
الإسلامية كتاباً له أهمية خاصة لا بد أن يقرأه المثقفون ليزدادوا إيماناً
مع إيمانهم ، وليميز الله الخبيث من الطيب

والشكر واجب نوجه لمن يستحقه والدكتور عماره بهذا الجهد
مستحق للشكر ، أما الآخر فما عند الله خير وأبقى . والشكر كذلك مستحقاً
لجمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية . أن
أتاحت الفرصة لنشر هذا الفكر والاسهام في مسألة التنوير الاسلامي
والله من وراء القصد موفقاً ومعيناً

مستشار / علي احمد حمدي

* بسم الله الرحمن الرحيم .. انحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أعتدى بهديه وسار على طريقه الى يوم الدين ..
أيها الاخوة والأخوات سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

في الأسابيع الأخيرة كثر الحديث في وسائل اعلامنا عن قضية التنوير ، بل ورأينا سلسلة من الكتب تصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، لأول مرة في تاريخ دار من دور النشر ، حيث تصدر كل يوم كتاباً بثمان زهيد لا يبلغ ثمن غلاف الكتاب (٢٥ قرشاً) .. وحقيقة نحن سعداء أن تصدر الدولة الكتب بهذا السعر الزهيد .. ولكن القضية التي تحتاج الى مناقشة هي موضوع هذه الحملة وقضية التنوير .. وهذه القضية ليست بنت هذه الأسابيع القليلة ، ولا هذه السلسلة من الكتب فكلنا شهد في سنة ١٩٩٠ في « معرض القاهرة الدولي للكتاب » أن الموضوع الرئيسي للمحاضرات والندوات تم تحت عنوان « مائة عام من التنوير »

* محاضرة القيت في الموسم الثقافي الذي ينظمه « المعهد العالي للفكر الاسلامي »
١٤ الجمعة العربية للثروة الإسلامية « بالقاهرة في ٢٤ ذي القعدة عام ١٤١٣ هـ ١٦ مايو عام ١٩٩٣ م ، وأدار حوارها د. علي جمعة

وأذكر أنني شاركت في ندوة في ذلك العام .. حضر فيها
مجموعة من دعاة ما يسمى بالتنوير ، وعلى رأسهم الأستاذة :
أدونيس ، ومحمود أمين العالم ، ود عبد العظيم رمضان : ود.
هدى وصفي ، ود. غالي شكرى .. وكان مفروضاً أن يحضر د.
لويس عوض لكنه كان قد سافر إلى باريس للعلاج على نفقة
الدولة .

وفي عام ١٩٩٢ احتفلت دار الهلال - كذلك - بمرور مائة
عام على ظهور مجلة الهلال .. وتم الإحتفال تحت شعار : « مائة عام
من التنوير » .

وفي الأسابيع الأخيرة ، والكتب التي صدرت .. وجدنا الكتب
تحمل عنوان : « التنوير » ويتحدث بعضها عن « محنة التنوير » فالذين
رفعوا شعار « مائة عام من التنوير » هم الذين قالوا أن مشروع التنوير
تحول على يد المد الإسلامي واليقظة الإسلامية إلى « محنة للتنوير » !

والقضية كما عرضونها هي : أن حركة التجديد والاحياء
واليقظة ، بدءاً من جمال الدين الأفغاني ، وقله رقايع الطهطاوى ، ثم
محمد عبده والكواكبي .. وأيضاً طه حسين ، وغيرهم من المفكرين

تحولت على يد الحركة الإسلامية الى محنة للتنوير الذي أتى به هؤلاء.
وسأبدأ حديثي بأن أشير الى كلمات كتبت منذ أيام بجريدة
« الحياة » - اللندنية بتاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤١٣ هـ ١٠ مايو
١٩٩٣ ، لم في ٢٢ ذو القعدة - ١٣ مايو حيث كتب أحدهم في
تلخيصه لمشروع طه حسين بأنه: « تحقيق عصر أنوار عربي يكون العقل
فيه سيد الأحكام » وهذه نقطة تحتاج لأن نتأمنها لتعلم معنى
ومضمون « التنوير » الذي يتحدثون عنه ... هذا « التنوير » يكون العقل
فيه سيد الأحكام ، فلا يتازعه ولا يخاصمه أي خصم آخر مهما كان
له في صدور الناس وأقدانهم من إعزاز وإكرام .

وها بشيرون الى الدين ، أي أنهم يريدون أن يقولوا بصراحة -
ونحن نحمد لهم هذه الصراحة - أن المقصود بالتنوير - هو الفكر
الذي لا مجال فيه إلا لأحكام العقل ، ولا منافس ولا خصم للعقل ،
مهما كان هذا المنافس له في قلوب الناس وأقدانهم من إعزاز وإكرام .

ونحن في هذه المحاضرة - إن شاء الله - سوف نميز بين
مضمون هذا التنوير الذي يقصدونه ، ومفهومنا نحن لنفس المصطلح
من تراثنا الإسلامي . فهذا التنوير الذي قالوا عنه أنه مشروع

د. طه حسين هو نفسه الذى قال عنه الدكتور زكى نجيب محمود بأنه من عشرينيات هذا القرن إلى الخمسينيات أو الستينيات هذه الحقبة تسمى « عصر طه حسين » وكاتب آخر فى نفس جريدة « الحياة » كتب عن حملة الكتب التى تنظمها الهيئة العامة للكتاب تحت عنوان « رموز التنوير فى مواجهة » كتب يقول « ينظم المثقفون فى مصر حملة إعلامية كبيرة ، بالتعاون مع السلطات الرسمية شعارها « مواجهة » ، فيصدرون كتيبات تعيد النهضويين الى دائرة الضوء ، وينظمون مهرجانات فى سائر المحافظات ، يعرفون برموز النهضة ودعائها فى القرون الماضية ومطلع القرن الحالى » و « رموز التنوير فى مواجهة الظلاميين » الطهطاوى ومحمد عبيد والأفغانى وعلى

عبد الرازق وطه حسين فى مواجهة « الحركة الاسلامية السياسية »

التنوير فى المصطلح الغربى :

النقطة الأولى فى حديثنا حول هذه القضية أننا نريد أن نعلم ، من الفكر الغربى ، مضمون هذا المصطلح الغربى .. خاصة وأن مضمونه الغربى نشأ فى حقبة محددة من حقب تطور الفكر الغربى ، ولذلك عندما يقال « فكر التنوير » يراد به فكر فلاسفة محددين ، نشأوا فى مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر الغربى .. وعندما يقال :

« عصر التنوير » يقصد به القرن الثامن عشر في تسلسل حقبة الفكر الغربي .. وعندما يقال : هذا من فكر التنوير ، يراد به لون محدد من ألوان الفكر في إطار تطور الحضارة الغربية ..

فالتنوير - كمصطلح شائع - أوربي النشأة والمضمون والأحياءات . وهو عنوان على نسق فكري محدد يسمى فكر التنوير ، وعلى مرحلة بعينها تسمى « عصر التنوير » ، وعلى مفكرين بذواتهم هم فلاسفة التنوير ، ومجمع اللغة العربية عندما أراد أن يعرف مصطلح التنوير قال أنه « عنوان على نسق فكري يمثل حركة فلسفية ، في القرن الثامن عشر تعتد بالعقل ، والاستقلال بالرأى ، وتؤمن بأثر الأخلاق ، وتقوم على فكرة التقدم والتحرر من السلطة والتقاليد » . وعندما يقال هذا الكلام في مجتمع كانت السلطة فيه كهنوتية ودينية ولاهوتية كنسية ، وكانت التقاليد تقاليد كنسية ، وعندما يقال « الاستقلال بالرأى بواسطة العقل » فمعناه الاستقلال عن الدين المسيحي في ذلك التاريخ ، إذن في التعريف المجمعي لهذا المصطلح ، كما ظهر في القرن الثامن عشر ، أنه : « حركة عقلية للاستقلال بالسلطة والرأى عن الدين والكنيسة واللاهوت في ذلك التاريخ » .

وأحد دعاة التنوير ونلامذته في مصر ، وهو : مراد وهبه يعرف

التنوير بعبارة أرى أنها من أدق العبارات التي تُعرف هذا التنوير كما عُرِفَ
 في الحضارة الغربية فيقول : « التنوير يعني أنه لاسلطان على العقل
 إلا للعقل ، إذن ، لا غيب ، ولا وحى ، ولا شريعة ، ولا إله ولا دين ..
 فكل هذه البسطات لا يعترف بها هذا المضمون من مضامين التنوير ..
 وهذه الفلسفة للتنوير -

والدكتور مراد وهبه ، وهو أكثر من كتب عن التنوير ، عندما
 يتحدث عن مقاصد التنوير - كما يشر بها - يقول : إنها الخروج
 من الاسطورة - أي الدين - إلى العقل ؟ ! . وهو يقصد الدين
 الاسلامي بكلمة الاسطورة ؟ ! . والذين كتبوا عن التنوير من الغربيين
 يقولون إن جذور التنوير تعود إلى القرن السابع عشر ، وبالتحديد إلى
 فرنسيس بيكون ، الذي « يرفض تدخل الدين في المعرفة ، لأن الدين
 يحد من كل ألوان المعرفة » .

اذن منذ اللحظة الأولى كان مضمون مصطلح التنوير في خندق
 معاد للمفكر الديني باعتبار أن الدين - عندهم - يحد من ألوان
 المعرفة .. وعند فرنسيس بيكون أيضاً أن التنوير « يحل آلهة التنوير محل
 الله والدين » وهذه الآلهة - في رأيه - هي « العقل والعلم والفلسفة »
 وفي القرن الثامن عشر عُرِفَ من مفكرى عصر التنوير (فولتير ١٧٣٤

- ١٧٧٨م) ، (ارموز ١٧١٦ - ١٧٧٨م) ، (موتسكيو ١٦٨٩ - ١٧٦٦م) ، (هيردر) ، (لينج ٧٢٩ - ١٧٨١م) ، (نيلز ١٧٦٩ - ١٨٠٥م) ، (جوت ١٧٤٩ - ١٨٣٢م) (كانت ١٧٢٤ - ١٨٠٤م) ... وعند فولثير نجد أن التنوير « يعنى تمجيد العقل ، بديلاً عن قداسة الدين » و « محاربة الكنيسة » و « انكار الغيب والبعث والجزاء الأخروي » و « النفس ليست الا حياة الجسم » تفنى بفنائها » و « ليس هناك وحى مقدس سوى الطبيعة »

هذا الفكر التنويرى عندما جاءت الثورة الفرنسية تمثلت فى « إلهة العقل » « الحساء » التى عبدوها من دون الله .. ورمزوا بها للعقل . والمقوله التى قالوا فيها : إنهم أنزلوا الله من ملكوته مع نزول أسرة البوربون عن العرش « !! » . والذين يتحدثون من أبناء جلدتنا . من اخواننا العلمانيين عن مصطلح التنوير يقصدون ما أشرت اليه من معنى لمصطلح التنوير هذا فى نشأته الاوربيه .

التنوير فى المصطلح الاسلامى :

إذا كان هذا هو المفهوم الغربى للتنوير : فعينا ، قبل أن نتحدث عن فكر الرموز التى يضعونها فى خندق التنوير ، ويقولون إنها تمثل التنوير بهذا المعنى الغربى وقبل أن نكشف زيفهم وتثويتهم لرموز فكرنا

وأحيائنا وتحديدنا عندما يضعونهم في المستقبل المادى الذى يسعون
التنوير :

علينا أن نسأل هل لمصطلح التنوير فى معاجمنا ومصطلحاتنا معان
متميزة عن هذه المعانى الغربية ؟ سندعش إذا علمنا أن قواميسنا العربية
والإسلامية تضع للتنوير معانى لا علاقة لها على الإطلاق بهذه المعانى
الغربية التى أشركا إليها فالتنوير فى المصطلح العربى يعنى « وقت إسفار
الصبح - ويزرع أشعة نور الصباح » ... ورسول الله - ﷺ - يقول
« نوروا بصلاة الفجر - رواه الترمذى - ... والقرآن يوصفه فى آياته
بأنه نور ﴿ قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا ﴾ - التغابن آية ٨
... والإسلام سور ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور ﴾ - البقرة : ٢٥٧ - والرسول - ﷺ - نور ﴿ قد
جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ - المائدة ١٥ - ..
والحكمه نور ﴿ فأن الله يحيى القلوب بنور الحكمة ﴾ - رواه
مالك فى « الموطأ » - والصلاة نور « الصلاة نور المؤمن » - رواه
مسلم ...

فالمؤمن بذلك كله « مستنير » .. وله « تنويره » الإسلامى
الخاص ... ومصطلح التنوير هذا يعود بنا الى قصة العديد من

المصطلحات التي لها مضمون في فكرنا يختلف تماماً عن مضمونها في الفكر الغربي ، كمصطلح « اليسار » ، فهو في الفكر الغربي الذي يعني « الأجراء وأهل الفقر ... بينما اليسار في المصطلح الاسلامي هم أهل الغني واليسر والثراء ! ... » واليمين « هم أهل الرجعية والجمود » في الفكر الغربي ، وهم « في الاسلام ، أهل القوة والتقوى والصلاح الذين يعطون كتبهم يمينهم يوم القيامة ... إذن انقصه تبدأ من تحرير مفهوم المصطلح .

من المؤسف أن دعاة التنوير الغربي حينما يعددون رموز التنوير بالمعنى الذي يقصدون يأخذون العديد من رموز التجديد والاحياء الاسلامي فيضعونهم في « سلتهم » ونحن في هذا الموقع نريد أن ندعوهم الي كلمة سواء ، نريد أن نحكم الى نصوص هؤلاء المجتدين وهؤلاء العلماء « الطهطاوي والافغاني ومحمد عبيد وسعد زغلول ومحمد حسين هيكل في نفس « السلة » مع علي عبد الرازق ، وطه حسين ، وسلامه موسى . فإذا كانوا فعلاً يقولون بهذا اللون الغربي من التنوير « لاسلطان علي العقل الا للعقل » « وأنه لاسلطان للدين » ... اذا كان هؤلاء الرموز يقولون بهذا المفهوم من التنوير ... نلقيهم اليهم ويصبحون من رموزهم ، أما اذا كانوا يريقون ويريدون أن يستلبوا منا

رموزنا .. فنحن نردهم لنصوص هؤلاء الأعلام والرموز لتشهد بيننا وبينهم ونقول: هل كان هؤلاء ينادون بهذا المعنى من التنوير ؟ أم أنهم كانوا يستنبطون بالاسلام ، ويجددونه ويريدون أن تنهض أممتنا وفق مشروع حضارى ينطلق من فكر الاسلام ووجهه ؟؟

ومن الأسف الشديد أن بعض الاسلاميين يتخذون ويسلمون هذه الرموز للعلمانيين .. ولذلك كان ضرورياً أن نحتكم لنصوصهم ، بأقوال، نوجهها الى العلمانيين والاسلاميين على السواء ! .

الطهطاوي : (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣ م)

هل كان الطهطاوي ممن يقول بالعقل فقط؟ أم أنه انتقد الحضارة الغربية لأنها ترجع فقط إلى براهين العقل، وإلى التوابع الطبيعية وحدهما؟ لقد أنكر الطهطاوي على الحضارة الغربية هذه الرضعية وقال: «إننا لا نعتد بالتحسين والتقبيح العقليين إلا إذا ورد الشرع بالتحسين والتقبيح» وهذا هو الفيصل. فإذا كان الطهطاوي قال بالعقل وحده كمصدر للتحسين والتقبيح يكون مع هؤلاء المنورين بهذا المعنى الغربي، أما إذا كان قد اعتمد على كتاب الوحي وكتاب الكون، أضاف الشرع إلى العقل، بل وقال إن التحسين والتقبيح لا قيمة له إلا إذا كان بالشرع. نقول عندئذ إنه أول رائد من رواد التجديد والاحياء بل وأول عين للشرق على الغرب في عصرنا الحديث لم يكن مع هؤلاء المتغربين بل إن نصوصه تشهد ضدهم. بل إن كتابه «تخليص الأبريز» الذي نشرته الهيئة في سلسلة كتب التنوير، يشهد ضدهم، حيث يصف الطهطاوي الحضارة الغربية، مميزاً فيها بين «علوم التمدن المدني» وبين «القلسفات» ويقول: «أنه يرفض تلك الفلسفات لأنها حشوات ضلالية مخالفة كل الكتب السماوية». ويتحدث عن إلحاد ولا

مدينة الحضارة الغربية ، ويتعجب كيف أنها تجمع بين العلوم
المادية وهذه الألوان من « الإلهاد » وبدأ النص الآتي في كتابة بينين
من الشعر بقول فيهما :

أوجد مثل باريس ديار - شمس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح - أما هذا ، وحفكم ، عجيب !

ثم يقول : « فهذه المدينة ، كباقي مدن فرنسا وبلاد الأفرج
العضيمة ، مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والتصللات ، وإن كانت
من أحكم بلاد الدنيا ودبار العلوم البرية ... التي تجلب الأس ويزين
العمران !

إن أكثر أهل هذه المدينة اتعالم من دين المصريين الأس فقط ،
حيث لا يسمع دينه ، ولا غيره له عليه ، بل هو من الفرق المُنحثة
والمُنقحة بالعقل ، أو فرقة من الإباحيين الذين يقولون إن كل عمل
يأذن فيه العقل صواب ، ولذلك فهو لا يصدق بشيء مما في كتب أهل
الكتاب ، لخروجه عن الأمور الطبيعية ... إن كتب الفللفة بأسرها
محتوة بكثير من هذه البدع المخالفة لسنن الكتب السماوية ، وإن
تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع ... واليكاليف

الشرعية والسياسية التي عليها نظام العالم ، مؤسسة على التكاليف العقلية الصحيحة ، الخالية من الموانع والشبهات ، لأن الشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التي يعلم حكمتها المولى سبحانه وليس لنا أن نعتد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقييده .

هل هناك فجور أكثر من أن يوضع صاحب هذا النص في مستنقع التنوير بالمعنى الغربي ، الذي يقول : « لاسلطان على العقل إلا العقل » ؟ !

ولنواصل قراءة ما كتبه الطهطاوي حيث يقول . « والذي يرشد الى تركية النفس هو سياسة الشرع ومرجعها الكتاب العزيز الجامع لأنواع الممنون من المعقول والمنقول ، مع ما اشتمل عليه من بيان السياسات المحتاج اليها في نظام أحوال الخلق ، كشرع الزواجر المفضية الى حفظ الأدب ، والعقول ، والأنساب ، والأموال ، وشرع ما يدفع الحاجة على أقرب وجه يحصل به الغرض ، كالبيع والإجارة والزواج وأصول أحكامها ، فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لاتشعر العاقبة الحسنى ، ولا عبرة بالنفوس المقاصرة ، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا اليها تحسبنا وتقيحاً ، وضنوا أنهم فازوا بالمقصود

بتعدى الحدود ، فينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة ، ومعلوم أن الشرع لا يحظر جلب المنافع والابتعاد عن المضار والسياسي المجددات المستحسنة التي يخترعها من منحهم الله تعالى العقل والهمم الصناعة » (١)

هذا هو نص الطهطاوي الذي يبدأون به سلسلة أعلام التنوير !!

ثم يتحدث الرجل عن الجمع بين علوم الوحي .. وعلوم الكون فيقول : « إن مدار ملوك جادة الرشاد والاصابة ، موط - بعد ولي الأمر - بهذه العصاية « طلبه الأهر وأهله » التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليه من نشر

أ - السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المتتيفة .

ب - معرفة سائر المعارف البشرية المدنية ، التي لها مدخل في تقدم الوطنية ... وأن هذه العلوم الحكيمية العملية ، التي يظهر الآن أنها أحبة . هي علوم إسلامية ، نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ، ولم نقل كتبها إلى الآن فسي خزان ملوك الاسلام كلذخيرة (٢)

ومن الإقتراءات التي يغترون بها على الطهطاوي دعواهم أنه ترجم

(١) [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٧٩ ، ٣٢ ، ٤٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة مطبعة بيروت ١٩٧٣ م
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٥٣٣ ، ٥٣٤

قانون نابليون ، كى يكون هذا القانون شريعة التقاضى والحكم
فى بلادنا !! وهذا الكلام كتبه لويس عوض عندما كتب
دراسة فى مجلة « المصور » عنوانها « مصر عثمانية من محمد على
الى عبد الناصر » (١)

ولقد قصت بالرد عليه فى كتابى « العلمانية وبهضتنا الحديثة »
وأنت بهذا النص من نصوص الطهطاوى

نعم لقد اشرف الطهطاوى على ترجمة قانون نابليون (القانون
التجارى وبعض القوانين الأخرى) .. لكن لماذا ترجمها ؟

الطهطاوى يقول : فى مبرراته للترجمة ، أنه قد زادت المخالطات
بيننا وبين الغرب وتكونت المجالس التجارية لتفصل فى المنازعات بين
التجار الغرب والشرقيين وبين الأجانب .. فأردنا أن نعرف كيف يحكم
هؤلاء الأجانب فى بلادهم ؟ وبأى قانون ؟ حتى نعلم حلقتهم
القانونية والفكر الذى يحكمون به .. أى أنه لم يترجمها لكى تحكم
بها بلادنا وأنا أقول إليكم نص كلام الطهطاوى . والعلمانيين ، وأيضاً
للإسلاميين المخلووعين فى رموزنا حتى يعطونهم لقمة سهلة لهؤلاء
المغتربين !؟

(١) مجلة المصور ، أعداد : ٢٣ / ٩ ، ٣٠ / ٩ ، ١٧ / ١٠ ، ١٩٨٣ م .

يقول الطهطاوى فى مقدمة ترجمة « مجموع قوانين نابليون »
 وهى المدنية والبلدية ، والمحاكمات ، والمرافعات ، وتحقيق الدعاوى ،
 والمدافعات والحدود والجنايات (١) لقد صدر الأمر العالى الخديوى
 بتعريبها - (تعريب القوانين) - حتى لا يجهل أهل هذا الوطن أصول
 المصالح الأخرى ، لاسيما أن علاقات الاقتضاء ، ومناسبات الأخذ
 والعطاء ، تدعو إلى الإلمام بمثل تلك الأصول الوضعية ، ليكون من
 يتعامل معهم فى تسوية الأمور على بصيرة (٢) ..

ثم يقول فى مقدمة تعريب قانون أحكام التجارة (٣) « وهذا
 القانون التجارى مما تمس الحاجة إليه فى غالب الأحوال والأوقات ،
 حيث اتسعت الآن فى مصرنا دائرة المعاملات بين أهالى الممالك الأوربية
 وكثرت التعلقات ، فصار لا بأس لأرباب التجارة بمعرفة قوانين المعاملة
 التجارية عند الأجانب ، بل صار الاطلاع عليها أن يعقد عقود
 التجارات معهم من الواجب » (٤) .

(١) طبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هـ . سنة ١٨٦٦ م .

(٢) (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٣٦٧

(٣) طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ سنة ١٨٦٨ م

(٤) (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٣٦٩ .

وبعد سنوات ، وعندما ازداد نفوذ الأجانب في مصر ، وسلمت الحكومة المصرية بأن قوانين نابليون التجارية يجب أن يقضي بها في المجالس التجارية المختلطة (الكوميسيون المختلط) ... ماذا كان موقف الطهطاوي من هذا الاختراق ؟ لقد وقف ضده وتكلم عن الشريعة الإسلامية معلناً كيف أنها رافية بالقرض - وما نطالب به نحن الآن من ضرورة تقنين الشريعة الإسلامية - نجد الطهطاوي كتبه بنفس التعبير - « التقنين » - ودعا إليه ، فقال : أن محالضات تجار الغرب ومعاملتهم مع أهل الشرق اتعنت نوعاً همهم هؤلاء المشاركة ، وجددت فيهم وزع الحركة التجارية وثررت على ذلك نوع انتظام ، حيث ترتب الآن في المدن الإسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوي والمرافعات بين الأهالي والأجانب ، بقوانين في الغالب أوربية ، مع أن المعاملات الفقهاء لم انتظم ، وجرى عليها العمل لما أخذت بالحقوق ، بتوفيقها على الوقت والحالة ، مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولاية الأمور المستيقظين .. ولكل مجتهد نصيب ! .. ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية ، حيث يربوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية ، كالشركة والمضاربة ، والقرض ، والمخابرة ، والعارية

والصلح وغير ذلك .

لم يضيف : أن بحر الشريعة الغراء : على تفرع مشاريعه ، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وأحيائها بالسقي والرى . ولم تخرج الأحكام السياسية عن المذاهب الشرعية ... لأنها أصل ، وجميع مذاهب السياسات عنها بمنزلة الفرع .. (١)

هذا هو الطهطاوى ، الذى دعا الى أن تكون المرجعية ليست للعقل فقط وإنما للشرع أيضاً .. والذى تكلم عن أن بحر الشريعة الغراء واف بكل المتطلبات ودعا الى توفيقها على الوقت والحال - الذى تكلم نحن عنه الآن باسم : التقنين ، والاجتهاد في الامور المستحدثة .

هل هذه النصوص التى نحتكم اليها ، والتي كتبها الطهطاوى في أوائل حياته في « تخلص الابرز » واستمر عليها الى أواخر حياته الفكرية ، فى آخر كتيبة وهو « مناهج الالباب » ١٨٦٩ - .. بل وفي « كتاب المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » الذى كتبه فى السبعينيات حين فتحت مدارس البنات فى مصر من القرن الماضى .. هل هذا الموقف الثابت من الطهطاوى على امتداد مشروعه الفكرى ، يجعل هناك مجال لأن يحشر هذا الشيخ الجليل فى زمرة دعاة التنوير بهذا المعنى الغربى ؟

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥١٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ -
١٨٩٧ م)

وجمال الدين الأفغانى ، الذى يحشرونه في هذه الزمرة - زمرة
التنوير الغربى - نحن نعتبره الرائد الذى ارتاد اليقظة الاسلامية الحديثة ،
التي نحن الامتداد المنطور لها . فكل المستنيرين ، والمحدثين ، ومدرسة
التجديد والاحياء ، وما نسميها باليقظة أو الصحوة الاسلامية هي امتداد
متطور لمدرسة الأفغانى . وعجبا لهؤلاء الذين يريدون أن يضعوه في
مستقع الفكر « الوضعى الغربى » !

الأفغانى دعا الى بناء النهضة الحديثة على الاصول الشرقية
القديمة الموروثة .. وحذر من « البدء من حيث انتهى الأوروبيون » ..
ونقد التحديث على النمط الغربى .. بل ويصف دعاة البدء من حيث
انتهى الأوروبيون بأنهم ظابور خامس يفتحون ثغرات الاختراق في جدار
مقاومة الأمة ، ليفتحوا الميادين لجيوش الغزاة ! يقول : أن الظهور في
مظهر القوة لدفع الكوارث ، إنما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي
كان عليها ابناء الشرقيين وأسلافهم .. ولا ضرورة ، في إيجاد المنفعة ،
إلى اجتماع الوسائل وسلوك المسالك التي جمعها وملكها بعض الدول
العربية الأخرى ولا ملجأ للشرقى في بدايته أن يقف موقف الأوروبى

في نهايته ، بل ليس نه أن يطلب ذلك ، وفيما مضى أُصدق شاهد
على أن من طلبه فقد أوفر ! أعجز ! نفسه وأخته وقرا أعجزها
وأعوزها (١١) وعن الإزدواجية في التعليم قال : « لقد شيد العثمانيون
عدداً من المدارس على النمط الجديد ، وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى
البلاد ليحملوا اليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب وكل ما
يسمونه « نمدا » .

وهو في الحقيقة تمدن البلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة
وسير الاجتماع الانساني ! فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا
لأنفسهم من ذلك ؟ « وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة » نعم . .
ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية ،
وما شاكلها . . وسحوا أنفسهم زعماء الحرية ! . ومنهم آخرون قلبوا
أوضاع المباني والمساكن وبدلوا عيشت المأكل والملابس والفرش والآية .
وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أحواد ما يكون منها في الممالك
الاجنبية ، وعدوها من مفاحرهم ، فنفوا بذلك ثروة بلادهم إلى غير
بلادهم وأثاثوا أرباب الصنائع من قومهم ! وهذا جذع لأنف الأمة .

(١١) الاعمال الكاملة ١ ص ٢٢٢ دراسة وتحقيق ك د محمد عمار طبع بالقاهرة

يشوه وجهها ويحط بثأنها ، لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل
أمة ، المنتحنين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافقاً تطرق الاعداء إليها .
وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات ، يمهّدون لهم
الطريق ، ويفتحون الأبواب ، ثم يشتون أقدامهم ؟ (١) الأعمال
ص ١٩٥ - ١٩٧ .

وهذا النص تهديده للمتغربين لدراسته وليقولوا لنا مع أي فريق
يقف الأفغاني ؟ مع التجديد الإسلامي ؟ أم مع التنوير الغربي
العلماني ؟؟ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

الامام محمد عبده

(١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م)

يرغم دجة التنوير الغربي أن الامام محمد عبده هو رعيم التنوير
الذى تحول ، على يد الحركة الاسلامية ، الى « محنة للتنوير »
والمدهش أن هؤلاء ينسبون لامامنا محمد عبده كلمة - وما لدى
بحشت في كل كتبه واعماله لمدة خمس سنوات .. فلم أر تلك الكلمة
التي يزعمون نسبتها اليه ، وهي أنه حينما سافر الى الغرب قال : « رأيت
هناك مسلمين ولا اسلام ، ورأيت هنا اسلام ولا مسلمين »

متى وأين قال هذا الكلام ؟ أنا أنتظر من أى شخص يدعى أنه
محمد عبده هو قائل هذه العبارة أن يدلنا على المصدر ؟ !

فما بالنّا ولدينا خصوصاً ثابتة قائلها ، تنعى جملة وتفصيلاً هذه
العبارة الزائفة ؟! فقد رد على « هانونو » وزير خارجية فرنسا وعلى
بشارة تقياً ومقالاته في « الاهرام » . فقال محمد عبده عن
الحضارة الغربية : « ان هذه المدينة - مدينة الملك والسلطان ، مدينة
الخنل والنفاق ، وحاكمها الأعلى هو « الجنيه » عند قوم « واليرة »

عند قوم آخرين ، ولا دخل لأنجيل في شيء من ذلك « (١١) وفي بقده
للحضارة الغربية انتقد السنفطة الدينية والكهانة في أوروبا في العصور
الوسطى .

وبالمقاربة ، أسوق اليكم . تزييف دعاة التنوير - وهم ثلاثون
العلمانية - حينما نشروا كتاباً لمحمد عبده يحمل اسم « الإسلام
والنصرانية مع العلم والمدنية » فقاموا بخذف كلمة النصرانية فأصبح
عنوان الكتاب « الإسلام بين العلم والمدنية » وفي الكتاب نقد
موضوعي من محمد عبده للنصرانية .. لكنهم خجلوا أن يذكرنا عنوان
الكتاب كما كتبه صاحبه .. وحتى العنوان الذي كتبه لا معنى له ،
فما معنى « الإسلام بين العلم والمدنية » ؟ بل .. وهذه هي الطامة
الأكبر - فلقد حذفوا ما كتبه بهذا الكتاب عن النصرانية .. ووضعوا
بدله مقالات له لا علاقة لها بالكتاب !!

فلن أن محمد عبده كتب هذا الكتاب رداً على « قرع أضواء »
الذي نشرت له « الهيئة » كتاباً في سلسلتها عن ابن رشد - ولم
يذكروا أن محمد عبده رد على هذا الكتاب « ابن رشد » حين نشره

(١١) الأعمال الكاملة لـ ٣ ص ٢١٥ . دراسة وتحليل - محمد حمادة - طبعة بيروت

فرح تُنفون، خاصة وأن فرح أخذ كلام « ريتاك » عن ابن رشد ، وقال
أن ابن رشد « فيلسوف مادي قاعدة مذهبه العلم فرد محمد عبده علي
شرح ريتاك وقال : أن ابن رشد « فيلسوفاً مؤمن » وفند أن يكون
فيلسوفاً مادياً أو ملحداً

ينتقد محمد عبده الكهانة والسلطة الدينية في أوروبا في العصور
الوسطى ، فيقول : « ان الاسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية التي
عرفتها أوروبا . فليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الوعظة
الحسنة ، والدعوة التي التحير . والتفسير من الشر . وهي سلطة خولها
الله لكل المسلمين ، أدناهم وأعلاهم .. والأمة هي التي تولى الحاكم
وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي تخلصه متى رأت ذلك من
مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ، ولا يجوز لصحيح
النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الأفرنج « ثيوكراتيك »
أي سلطان إلهي .. فليس لتجميع .. بل ولا لتفاسي ، أو لفشي أو
شيخ الاسلام أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة
تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية ، فدرها الشرع الاسلامي
فليس في الاسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه ، بل إن قلب

السلطة الدينية ، والاثنيان عليها من الأساس ، هو أصل من أجل أصول
الاسلام . (١) .

والامام محمد عبده تحدث كذلك عن وسطية الاسلام فقال
« طهر الاسلام ، لا روحياً مجرداً ، ولا جسدياً جامداً ، بل إنسانياً
وسطاً بين ذلك ، أخذاً من كل القبيلتين بنصيب ، فتوفر له من ملائمة
القطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ، ولذلك سمي نفسه « دين القطرة »
وعرف له ذلك خصوصاً اليوم ، وعدوه المشرمة الأولى التي يرقى فيها
البرابرة على سلم المدنية . »

ان الاسلام دين وشرع فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً ، ولا
نكتمل الحكمه من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود ،
وتنفيذ حكم القاضى بالحق ، وصوت نظام الجماعة .. والاسلام لم
يدع ما لقيصر لقيصر ، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصره على ما له
، ويأخذ على يده فى عمله ، فكان الاسلام : كمالاً للشخص ، وألفه
فى البيت ، ونظاماً للملك . »

لماذا لا يبرز هذا النص الذى يتحدث عن شمول شرع الاسلام
للفرد والأسرة والدولة .

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ .

وحينما جاء محمد عبده ليثكنكم عن مشروع النهضة .. كيف
 نهض ؟ وما المرجعية لنهضتنا ؟ .. تجده يقول : « أهل مصر قوم
 أذكىاء .. يغلب عليهم لين الطباع ، واستداد القابلية للتأثر ، لكنهم
 حفظوا القاعدة الطبيعية ، وهي أن البذرة لا تنبت في أرض إلا إذا كان
 مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض . ويتفسر بهوائها ، وإلا ماتت
 البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها . ولا عنى البذرة
 وصحتها ، وإنما العيب على البذر .. أنفس المصريين أشربت الانقياد
 إلى الدين ، حتى صار طبعاً فيها ، فكل من طلب اصلاحها من غير
 طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربة التي أودعه فيها ، فلا تنبت ،
 ويضيع ثعبه ، ويخفق سعيه ، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر
 التربة التي يسمونها أدبية ، من عهد محمد على إلى اليوم .. فإن
 الملحودين بها لم يزدادوا الا فساداً ، وإن قيل أن لهم شيئاً من المعلومات ،
 فما لم تكن معارفهم وأدبهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في
 نفوسهم » .

ويضيف : « إن سبيل الدين لمريد الاصلاح في المسلمين ،
 سبيل لا مندوحة عنها ، فإن اتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية
 عن صبغة الدين ، يحوجه إلى انشاء بناء جديد ، ليس عنده من مواد

شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحداً .

ثم يتساءل : « وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق ،
ومصلاح الأعمال ، وحمل النفوس على قلب السعادة من أربابها ،
ولأهلها من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره ، وهو حاضر لديهم ، والعناء
في الرجوعهم إليه أخف من أحداث ما لا المأم لهم به ، فلم يعدول عنه
إلى غيره ؟ » (١)

فهو يتحدث عن « إسلامية النهضة » وإسلامية الدولة والعمران .
فهو بهذا الفكر علاقة بمفاهيم التنوير العربي التي تنفي الدين ،
وتكتفي بالعقل والتجريب .

(١) المصدر السابق : ج ٣ ص ٢٣١

الشيخ علي عبد الرزاق

(١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م)

أُتِي إلى صاحب أول كتاب نشره نخوتنا « الثَّورُونَ » وهو الشيخ علي عبد الرزاق - عليه رحمة الله - الذي نشر كتابه « الاسلام وأصول الحكم » في أبريل ١٩٢٥ . وقار في هذا الكتاب « إن الاسلام « رسالة لا حكم ودين لا دولة » . وجاءت هذه المقولة على هيئة عنوان داخل الكتاب . أتى أن الرجل كان صريحاً ، يريد أن يعلن الاسلام ، ويقول أن الاسلام مثله كمثل المسيحية واليهودية ، وأن محمداً لا علاقة له بالسياسة ، وأنه لم يكن حاكماً . ويقول : « يابعد عناين السياسة والدين » . وهو التعبير الذي استخدمه السادات فيما بعد بقوله « لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين » ! يقول الشيخ علي عبد الرزاق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » تحت عنوان « رسالة لا حكم ودين لا دولة » : « إن محمداً - ﷺ - ما كان إلا رسولاً تدعوه دينية خالصة للدين ، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة ، وأنه - ﷺ - لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذي يفهم مياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، ما كان إلا رسولاً كاخوانه الخاليين من الرسل ، وما كان منكأً ولا مؤسس دولة ، ولا داعياً إلى ملك . إن

ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي - ﷺ - لم يكن له شأن في الملك السياسي ، وآياته متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ الشرف من كل معاني السلطان .. ولاية الرسول على قومه ولاية روحية . وولاية الحاكم ولاية مادية .. تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه ، وهذه ولاية تدير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين ، وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية ، وهذه زعامة سياسية ، وبما بعد ما بين السياسة والدين (١١) .

وفي أغسطس من نفس العام - ١٩٢٥ م - اجتمعت هيئة كبار العلماء : وحاسبوه - في محاكمة تأديبية - وسجروا منه شهادة : العنابة ، باعتبار أن ما قاله يتنافى مع هذه الشهادة .. والعريب في الأمر أنه في الشهر الذي يليه ، وهو شهر مستحبر ، صرح نصريحاً صمد ما قاله في كتابه : .. وقال : : أن الإسلام دين تشريعي ، وإليه يجب على المسلمين إقامة شرائعه وحدوده ، وإن الله خاطبهم جميعاً بذلك ، ولكن الله لم يفيدهم بشكل مخصوص ، من أشكال الحكومات ، بل ترك لهم الاختيار في ذلك ، وفق مقتضيات الزمان ، وحيث تكون المصلحة (١٢) ، أي أنه بعد أقل من شهر من محاكمته قال : أن الإسلام

١ (١) : الإسلام وأصول الحكم ، ص ٤٨ - ٨٠ طبعة القاهرة عام ١٩٢٥ م .

٢ (٢) : صحيفة : السياسة ، عدد أول سبتمبر عام ١٩٢٥ م .

« دين شرعي » والأمة - وليس النحاكم فقط - جميعها مخاطبة
بإقامة الشرائع الإسلامية ، باعتبار تطبيق الشريعة أحد الواجبات الدينية ،
وهو ما ينقض دعوى كتابه : أن الإسلام ورسوله قد وقفا عند
« التبليغ » دون « التنفيذ والتطبيق » !

وفي حوار له مع أحمد أمين ، في جلسة خاصة سنة ١٩٥١م
حول علاج جمود المسلمين .. قال الشيخ علي عبد الرزاق : « إن دواء
ذلك أن ترجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط ،
ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل .. الخ » -

فلما نشر أحمد أمين هذه العبارة في مجلة « رسالة الإسلام »
عدد أبريل ١٩٥١ - جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ - بمقال عنوانه
« الاجتهاد في نظر الإسلام » ، عقب علي عبد الرزاق بالعدد التالي من
المجلة - مايو ١٩٥١ - فاعترف بالعبارة المنسوبة إليه .. لكنه نسب إلى
الشیطان لقاءها على لسانه !؟ .. ونبرأ منها .. وقال : « أرجو ألا يظن
صديقي أحمد أمين بك .. أو من يقرأ كلمتي هذه ، أنني أماري من
قريب أو من بعيد في صحة الحديث الذي رواه عني ، فإنني لأذكر هذا
الحديث نفسه وأذكر أين ومتى كان ، وما يشغلي لشيء يرويه أحمد بك
أمين أن يكون موضعاً للمراء ، وما أرى في الأمر إلا أن هناك خطأ في

التعبير جرى به لسانى فى المحدث الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال
المسلمين . وما أدرى كيف تسربت كلمة روحية الإسلام إلى لسانى
يومئذ ؟ ولم أزد معناها !! ولم يخطر لى بال !! .. بل لعنه الشيطان
لقد لقي فى حشرى تلك الكلمة .. والشيطان أحياناً كلمات يقبها حتى
اللسنة بعض الناس .. وهذه كلمة تصحح وضعاً مخصصاً أرى من
الانصاف أن يصحح : ١٠

يقول لمن نشر كتاب على عيد الرازق اليوم : لماذا لم تقولوا ما
حدث . متى كان على عبد الرازق تنويراً ؟ ومتى تراجع ؟ ؟ إذا كان
على عبد الرازق قد صحح رأيه فإِنَّ العلمانيين لم يصححوا .. بل نشروا
« كتيب الإسلام وأصول الحكم » الذى رفضه صاحبه ثم بعد طبعه مرة
أخرى : وعندما أعيد طبعه فى السبعينات قامت أسرة الشيخ على عبد
الرازق برفع قضية على الناشر ، وقالت إن نشر الكتاب يسىء إلى على
عبد الرازق لأنه كان عزوفاً عن إعادة نشره ! ..

والأكثر من هذا ، أتى حيناً نشرت كتيبى « معركة الإسلام
وأصول الحكم » وقلت فيه أسى فذهبت إلى على عبد الرازق محمد
- الذى قال لى أن والده كان يريد أن يكتب مقدمة فى أواخر حياته
يوضح فيها ملاحظات هذا الكتاب . فحدثت عنه الدكتور سعد

فنشرت مقالا « بالوفد » وقالت أنه ولدها ثم يتراجع عن رأيه !! وعندما
 قرأت مقالها كتفت أحد الصحفيين بجريدة الوفد - وهو الصحفي
 الشاب عماد الغزالي - قل أن يترك الجريدة - في أن يحقق هذه
 القضية ، وأن يسأل منهود العصر حول علاقة الشيخ علي عبد الرزاق
 بهذا الكتاب ، بحثاً عن تفسير لرفضه إعادة طبعه . فاكشفنا أشياء
 شديدة الغرابة . فقد قام الصحفي بمقابلة الشيخ الغزالي ، الذي قال
 أنه قابل علي عبد الرزاق في الجامع الأزهر ، وقال له أنه لا علاقة له
 بهذا الكتاب !! . وقال الشيخ أحمد مسلم - عضو لجنة الفتوى
 بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية - أنه سأل علي عبد الرزاق
 وكان يصلي حنفه - كيف قلت ما قلت في هذا الكتاب ؟ . وأجابته
 أن هذا كتاب الدكتور طه حسين ، ولا علاقة لي به !! كما نشر
 الدكتور محمد الدسوقي - السكرتير المجمع لفضة حسين - اعتراف طه
 حسين له : أنه قد راجع كتاب الإسلام وأصول الحكم ثلاث مرات
 وأجرى فيه تعديلات كثيرة !! . وكل هذا الكلام نشر في جئقاته
 بجريدة الوفد . . .

وهنا فهمت لماذا قال الشيخ علي عبد الرزاق أن ما جاء في الكتاب
 ليس رأيه .. وإنما كلمة القاهما الشيطان علي لسانه !! .

المهم في هذا الموضوع هو ما انتهى اليه الشيخ على فيما يتعلق
بأن الإسلام رسالة روحية فقط .. فالرجل عدل عنه .. أما الذين
ينشرون الآن كتابه ضمن سلسلة كتب المواجهة فإنهم يكذبون عندما
يحذفون هذا التصحيح ، وهذا الموقف الذي انتهى اليه هذا الرجل !

د. طه حسين

(١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م)

أما د. طه حسين فهو ، في مشروعه الفكري ، وكتبه ، في الشعر الجاهلي « .. وكتابه الذي نشرته الهيئة والذي يحمل عنوان « مستقبل الثقافة في مصر » - وهو أخطر ما كتبه طه حسين من كتب التغريب - .. طه حين هذا يعد امام المتعربين والمقلدين للغرب .. إنه يقول : « إن السيل واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا انواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي أن سير سيرة الأوروبيين وسلك طريقهم ، لنكون لهم أئدادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، غيرها وشربها ، حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، ما يحمد منها وما يعاب » (١)

وأيضاً قال عن علمانية الدولة : « ان وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول » و « ان السياسة شيء والدين شيء آخر » (٢) .

(١) « مستقبل الثقافة في مصر » ج ١ ص ٤٥ . طبعة القاهرة عام ١٩٣٨ م .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

الاحقر من كل هذا أنه يقول : أن العقل الشرقي يوناني !! وأن
الاسلام لم يغير شيئا من يونانية العقل الشرقي فيقول في كتابه : « أن
العقل الشرقي هو - كالعقل الأوربي - مرده الى عناصر ثلاثة

* حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن

* وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وطقه

* والمسيحية وما فيها من دعوة الى الخير وحث على الاحسان
وكما لم يغير الأنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي ، فكذلك
القرآن لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي ، لأن الفرق إنما جاء
متصفاً ومصدقاً لما في الأنجيل !! وهكذا كانت منصر دالماً جزءاً من
أوروبا ، هي كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية ، على اختلاف
فروعها وألوانها (١) »

أما ما كتبه : في الشعر الجاهلي : - وأنا أقول أن القصيدة
ليست قضية أن الشعر الجاهلي متحل - ولكنه في ص ١٦ وبالتحديد
في ٢٨ - سطرًا هم أخطأ ما كتبه بهذا الكتاب - وبعد أن قال أن
القرآن نص لا شك فيه ، عاد وشكك في علاقة الاسلام بالملة الحيفية
الابراهيمية ، بل وشكك في قصة بناء الكعبة ورفق فواعدها بواسطة

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٦

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .. وأحبار الرحلة الحجازية لإبراهيم
عليه السلام^(١) . ولكنه حينما أعاد طبع الكتاب وغير عنوانه من «
فى الشعر الجاهلى » لى « فى الأدب الجاهلى » حذف هذه
السطور التى شكك بها فى القرآن

ولكن ماذا صنع طه حسين بكتابه « مستقبل الثقافة » الذى
يشتهر الآن تلامذه الشهير « فى أربعة أجزاء » ككتاب من كتب التنوير ؟
لقد أعاد الرجل طبع جميع كتبه إلا هذا الكتاب ! هذا موقف
لكن ماذا لا يعلن ؟ لماذا لا يريدون إعلان موقفه هذا ؟ ليس هذا
مقتضا . فلقد أجرى معه حديث بجريدة « الأهرام » فى مارس
١٩٧١ م . وحيدا مثل عن رأيه فى كتاب « مستقبل الثقافة فى
مصر » قال : « ذه كتب سنة ١٩٣٦ .. قدم قوى ، غاور ، يتجدد
ويحب أعود إليه ، وأصنع فيه بعض حاجات وأضيف « وجه الكلام
الشعور لا يرى جوانبا له فى صلتهم . لذلك لا يبررونه بل يعدون
طبع الكتاب بلا حياة . » تماما مثلما حذفوا كلام على عبد الرازق
الذى تراجع فيه ويحى نقول هذا الكلام لا تصاف هؤلاء العلماء
والمفكرين . لأن طه حين الذى قال أن السياسة ليست مقسوما من

(١) الشعر الجاهلى ص ١٦ ، ٨١ ، ٨١ طعة القاهرة ١٩٢٦ م

مقومات الدولة ، والذي قال لا علاقة للدين بالسياسة . وأن اللغة ليست مقوماً من مقومات وحدة الدولة ، بعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ - قال : إن اللغة العربية مقوم من مقومات الأمة العربية «غير موقفه» . حينما جاءوا به عضواً في لجنة وضع الدستور سنة ١٩٥٣ ، دارت مناقشة حول حرية المرأة وحقوقها ، وكان موجوداً باللجنة د. عبد الرحمن بدوي . فقال طه حسين : « أنه من المقطوع به أن الأغلبية لن تقبل أن تخرج ، عند وضع الدستور ، على ما أمر به الإسلام . ولكن لا بد لنا من أن نحاط ، فنقول أنه ليس هناك أي مقتصر يسمح لنا بأن نعدل عن نص القرآن » . أريد أن أقول :

أنه إذا وجد نص ديني صريح فالحكمه والواجب بفتضان الأعارض النص ، وأن يكون من الحكمه ومن الاحتياط بحيث لا نضر الناس في شعورهم ، ولا في ضمائرهم ولا في دينهم ... »

وقال أيضاً : « إذا احترمت الدولة الإسلام فلا بد أن تحترمه جملته وتفصيلاً ولا يكون الإيمان إيماناً ببعض الكتب وكفراً ببعضه الآخر (١) .

(١) لجنة مشروع الدستور ١ من ٨١ ، ١٢١ طبعة القاهرة - وزارة الأرشيف القومي - بدون تاريخ والمجلة التي قال فيها هذا الكلام تاريخ انعقادها ٤ / ٦ / ١٩٥٢ م

ونحن الآن نرى أن إخواننا المثغريين ، حينما ينشرون لفظه حسين
يختارون ما يمثل التفسير بهذا المعنى الغربي : فنقول لهم : أنتم تظلمون
لفظه حسين ، لأنكم لا تتبعون خط تطوره الفكري ، الذي إنتهى به إلى
أن يقول : « لابد أن نلتزم بالقرآن جملة وتفصيلاً » ١٩ .

وهو نظور مناقض للتفسير الغربي العلماني .

سعد زغلول

(١٢٤٦ - ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م)

والعلمانيون يدعون أن ثورة ١٩١٩ علمانية ، وأن شعارها :
« وهو » الدين لله والوطن للجميع » - علماني كيف يكون هذا وهي
قد خرجت من عباءة الدين .. لقد خرجت من الجامع والكنيسة .
فكيف تكون علمانية إذا كانت قد خرجت من دور العبادة؟ حتى أن
كلمة الدين لله هي آية قرآنية « ويكون الدين لله » (١) « والوطن
للجميع » ، ليست فقط شعاراً إسلامياً ، بل يقول الله تعالى : « والارض
وضعها للانام » (٢) . ثم من الذي يقول أن الاسلام ، الذي بدأ دولته
في المدينة قبل أربعة عشر قرناً ، بعددية دينية للرعية ، يرفض أن يجعل
الارض للجميع ؟ .. إذن « الدين لله والوطن للجميع » شعار إسلامي
وليس شعاراً علمانياً . وأذكر أنني كنت اتاور أحد العلمانيين فقال لي
« ولكن صفية زغلول حملت ما على وجهها من حجاب ؟ » وأنا
أقول : هل السيدة صفية زغلول أصبحت متبرجة ؟ لقد أظهرت
وجهها وكفيها . وهذا هو الحجاب الشرعي .

(٢١) البقرة : ١٩٣

(٢٢) الرحمن : ١٠

المهم في الموضوع أن سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩ حينما سُئل عن الثورة ، وقيل له : أنت زعيم هذه النهضة ، قال : هذا شرف لا أدعيه .. وإنما نهضتكم بدأت منذ جمال الدين الأفغانى ، والأكثر من هذا أن الإمام محمد عبده في مراسلاته لسعد زغلول تجده لا يخاصمه إلا بعبارة : « الشيخ سعد » فكيف يدعون أن الرجل كان علمانيا ؟

يضاف الى ذلك نقده الدقيق والحاسم لعلى عبد الرازق وكتابه « الاسلام وأصول الحكم » سنة ١٩٢٥ ، بل ان مذكرته الجزيرى ، وكان من المحامين الشرعيين ، وكان يشرف على مجلة للقطاء الشرعى ، دخل عليه فسأله سعد زغلول عما كتب في المجلة من ضرورة مناصرة على عبد الرازق بدعوى حرية الرأى .. وقال سعد زغلول : هناك فارق بين حرية الرأى وهدم الاسلام .. وكتاب على عبد الرازق يهدم الاسلام ..

والاسلام دين مدنى ودين حكم ، وعندما حكمت به الأم حقق لها السعادة ولا يزال يحقق السعادة للأمم التي تحكم به حتى الآن

وهذا نصر مقالته الذي نُقِجَ به من يريد وضعه في صفوف العلمانية ، وبه تنصف هذا الرجل - : « لقد قرأت كتاب « الإسلام وأصول الحكم » بامعان ، لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ والصواب ، فعجبت : أولاً كيف يكتب عالم ديني بمثل هذا الأسلوب في مثل هذا الموضوع ؟! لقد قرأت كثيراً للمفسرين وللسوابع فما وجدت ممن طعن منهم في الإسلام حدة كهذه الحدة في التعبير ، على نحو ما كتب الشيخ عبد الرزاق . لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه ، بل بالسيط من نظرياته ، والا فكيف يدعى أن الإسلام ليس ديناً مدنياً ؟ ولا هو بنظام يصلح للحكم ؟! فأية ناحية من نواحي الحياة لم ينص عليها الإسلام ؟! هل البيع ؟! أو الاجارة ؟! أو الهبة ؟! أو أي نوع آخر من المعاملات ؟! ألم يدرس شيئاً من هذا في الأزهر ؟! أو لم يقرأ أن أمماً حُكمت بقواعد الإسلام فقط عهداً طويلاً كانت تنصر المصور ؟! وأن أمماً لا تزال تُحكم بهذه القواعد ، وهي آمنة مطمئنة ؟! فكيف لا يكون الإسلام مدنياً ودين حكم ؟! أين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية ؟! إن قرار « هيئة كبار العلماء » بإخراج الشيخ عنى من زميرتهم قرار صحيح لا عيب فيه ، لأن لهم حقاً صريحاً بمقتضى القانون ، أو بمقتضى المنطق والعقل ، أن يخرجوا من يخرج

على أنظمتهم من حظيرتهم ، وذلك أمر لا علاقة له مطلقاً بحرية الرأي .. لقد فعل العلماء ما هو واجب وحق ، وما لا يجوز أن توجه اليهم أدنى ملامة فيه ، والذي يؤلنى حقاً أن كثيراً من الشباب الذين لم تقو مداركهم في العلم القومي ، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية عنى الإعجاب بكل جديد ، سيجيزون مثل هذه الأفكار ، خطأ كانت أو صواباً دون تمحيث ولا غرض ، وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأي ، وبين قواعد الاسلام الراسخة الذي تصدى كتابه لهدمها .. (١)

هذا هو سعد زغلول ، الذي يفترون عليه ، عندما يضعونه في سلة « التنوير الغربي العلماني » .

(١) محمد ابراهيم الجبري / سعد زغلول - ذكريات تاريخية ١ من ٩٢ ، ٩٣ مطبعة القاهرة

د. محمد حسين هيكل باشا

(١٣٠٥-١٣٧٥ هـ - ١٨٨٨-١٩٥٦ م)

لقد شغل هيكل باشا منصب رئيس تحرير جريدة « السياسة » في عام ١٩٢٥ ، وكان أول من دافع عن علي عبد الرزاق وكتابه « الإسلام وأصول الحكم » . وكان قبل ذلك - حينما كان محررا « بالجريدة » مع لطفي السيد باشا - من أوائل من بشروا بالقومية على النمط الغربي ، وكان هو ولطفي السيد يقفان ضد رابطة « الجامعة الإسلامية » على اعتبار أنها استعمار ! . وفي مرحلة من مراحل حياته نشر بالفرعونية ثم جاء الرجل وبدأ مشروعه الإسلامي ، حيث نشر سنة ١٩٣٠ كتابه « حياة محمد » ثم « الفاروق عمر » وفي ١٩٣٥ نشر كتابه « في منزل الوحي » وفيه نقد مسيرته الفكرية نقدا شجاعا وبذلك أصبح نموذجا للإنسان حينما يتطور فكره فيأخذ هذا الموقف الشجاع في نقد ماضيه ، وذلك رغم النقد اللاذع الذي وجه إليه من أصدقائه وخاصة من طه حسين ، الذي كتب مقالات بالفرنسية وقد ترجمت هذه المقالات وجمعت في كتاب نشر ببيروت بعنوان « من النشاط الآخر » . يقول طه حسين في مقالاته الفرنسية أن كتابه « على هامش السيرة » أصعب وليست تاريخا ! . وأن هيكل قد تناول

موضوع التراث بصورة جدية ! أى أنه يعيب على هيكल جديته
 فى الانتماء إلى التراث !^(١) أما هيكل ، فقد قال عن ناقديه أننى
 لا أعجب ممن ينتقدوننى ، والذين يقولون أننى كنت من المجددين ثم
 أصبحت من المقلدين الرجعيين . فلا ثريب عليهم . لأننى كنت
 أقول ما يقولون !. وما اكتشفته أنا كان يخفى على فى فترة من
 الفترات .

وفى نقد هيكل باننا لفكرة الإنتماء القومى - بالمعنى العربى -
 ودفاعه عن فكرة التوحيد الإسلامية ، والجامعة الإسلامية يقول :
 «أن الفكرة الإسلامية المبنية على التوحيد ، تحالف ما يدعو إليه عالمنا
 الحاضر من تقديس القوميات ، وتصوير الأمم وحدات متنافسة ، يحكم
 السيف وتحكم آسباب الدمار بينها فيما تتناقش عليه ، ولقد تأثروا معشر
 أم الشرق بهذه الفكرة القومية ، ولدفعنا لتفخ قبيلنا روح القوة ، نحسب
 أننا نستطيع أن نقف بها فى وجه الغرب الذى طغى علينا وأذلنا ، ونحيل
 إلينا من سذاجتنا أننا قادرون بها وحدها على أن نعيد مجد آبائنا ، وأن
 نسرود ما غصب الغرب من حريتنا ، وما أهدر بذلك من كرامتنا

(١) طه حسين : من الشاطئ الآخر . طه حسين فى حديثه الذى لم ينشر سابقاً

ص ٦٥ ، ٦٦ ترجمة - عبد الرشيد الصادق محمودى - طبعة بيروت ١٩٩٠ م

الإنسانية ، ولقد أنشأنا بريق حضارة الغرب ما تتطوى هذه الفكرة القومية عليه من جرائم فتاكة بالحضارة التي تقوم على أساسها وحدها ، وزادنا ما نجيم علينا من سحجف الجهل إمعانا في هذا النسيان ، على أن التوحيد الذى أضاء بنوره أرواح آبائنا ، قد أورثنا من فضل الله سلامة فى الفطرة هدتنا إلى تصور الخطر فيما يدعو الغرب إليه .. ولذلك لم يكن لنا مفر من العودة إلى تاريخنا لنتمسك فيه مقومات الحياة المعنوية لنخرج من جمودنا المذل ، ولنتقى الخطر الذى دفعت الفكرة القومية الغرب إليه ، فأدامت فيه الخصومة بسبب الحياة المادية التي جعلها الغرب الهمة (١)

وفى نقد الدكتور هيكل للعثمانية - التي كان يدافع عنها حينما دافع عن على عبد الرازق - يقول فى كتابه «حياة محمد» :
 « هنا - فى المدينة بعد الهجرة - يبدأ طور جديد من أطوار حياة محمد ، لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسى .. وهذا الطور من حياة الرسول لم يسبقه إليه نبي ولا رسول فقد كان عيسى وكان موسى وكان من سبقهما من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية يبتغونها للناس عن طريق الجدل وعن طريق المعجزة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة ودوى السلطان أن ينشروا

(١) فى منزل الوحى ٢ - ٢٢ - ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧

هذه الدعوة ، فأما محمد ، فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، وأن يكون الرسول والسياسي والمجاهد والمفاتيح .. لقد أقام محمد دين الحق ، ووضع أساس حضارة هي وحدها الكفيلة بسعادة العالم والدين والحضارة اللذان بلغهما محمد للناس بوحى من ربه بتزويجهم ، حتى لا انفصال بينهما .. وقد خلا تاريخ الإسلام من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية ، أى بين الكنيسة والدولة فأنتج ذلك مما ترك هذا النزاع فى تفكير الغرب وفى اتجاه تاريخه (١)

ثم ينتقد التغريب بشكل عام فيقول لقد خيل إلى زما ، كما لا يزال يخيل إلى أصحابي ، أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية على سبيلنا إلى الشهوض والتقدم .. فحاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية والروحية ، لتتخذها جميعا هدى وبراسا .. ولكننى أدركت بعد لآى ، أننى أضع البذر فى غير منبته ، فإذا الأرض نهضته ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة .. وما أزال أشارك أصحابي فى أننا مائزأل فى حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب العقلية كل ما يستطيع نقله ، ولكننى أصبحت أخالفهم فى أمر الحياة الروحية ، وأرى أن ما فى الغرب منها غير صالح لأن ننقله ، فتاريخنا الروحي غير تاريخ الغرب ،

(١) حياة محمد آ منه ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٥١٦ ، ٥١٩ طعة الخامسة سنة ١٩٨١

وثقافتنا الروحية عبر ثقافته ، خضع الغرب للتفكير الكنسى على ما أقرته
البابوية المسيحية منذ عهدها الأول ، وبقي الشرق بريثا من الخضوع
لهذا التفكير ، بل حورت المذاهب الإسلامية التى أرادت أن تقيم فى
العالم الإسلامى نظاما كنسيا أهول الحرب ، فلم نقم لها فيه قائمة أبد ،
كيف نستطيع أن نحمل ثقافة الغرب الروحية المنهوض بهذا الشرق ،
وبينا وبين الغرب فى التاريخ وفى الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم ،
والحياة المعنوية هى قوام الوجود الإنسانى للأفراد والشعوب .. لا مفر إذا
من أن نلتصق فى تاريخنا وفى ثقافتنا وفى أعماق قلوبنا وفى أطوار
ماضينا هذه الحياة الروحية نحى بها ما فتر فى أذهاننا ونحمد من
قرئنا ونحمد من قلوبنا .. هذا كلام واضح بين ومن عجب أن يخفى
على أصحابى الذين غمزوني بعد تأليف كتابى «حياة محمد» عندما
حبوا أننى إنقلبت بكتابة السيرة رجعياء وكنت عندهم قبلها فى طليعة
المجددين !! من عجب أن يخفى هذا على أصحابى ، فلا يرونه وأن
يكون خفاؤه سبب تزييههم على ! ولكن لا عجب ، فقد خفى هذا
الكلام عنى سنوات ، كما لا يزال خفيا عن كثيرين منهم !! (١) .

(١) (مى منزل الوحى) ص ٢٦ - ٢٦ وهو يشير إلى طه حسين الذى قال فى « من
الشامى الأخير » إن منهج هيكى فى كتابة السيرة كان « مؤداه خروج السيرة التقليدية
طافرة على الدوام » وقال : « لقد طلق حسين هيكى فى كتابه منهج جمال الدين الأفغانى
ومحمد عبده فى التوفيق بين العقيدة الإسلامية وبين العلم والحضارة المعاصرة » أنظر « من
الشامى الأخير » ص ٦٥ ، ٦٦ .

وفى نقده الفرعونية قال فى نفس الكتاب «وقد انقلبت الشمس فى تاريخنا البعيد ، فى عهد الفراعين ، موثلاً لوحى هذا العصر ، ينشأ فيه نشأة جديدة ، فإذا الزمن وإذا الركود العفلى قد قطعاً ما بيننا وبين ذلك العهد من مسبب قد يصلح بذراً لنهضة جديدة .. وروايت - انظرات دون عجلة - فرأيت أن تاريخنا الإسلامى هو وحده البذر الذى يبت ويثمر ، ففيه حياة تحرك النفوس ، وتجعلها تهتز وترسو ، ولأناء هذا الجيل فى الشرق نفوس قوية حصبة تنمو فيها الفكرة الصائحة لتؤتى ثمارها بعد حين - لم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى أحياء حضارتنا الشرقية» (١).

بهذه النماذج التى نذكر عادة من قبل المتغربين فى إطار «التنوير» بالمعنى الغربى الذى يشرون به .. احثكمنا إلى هذه النصوص التى تبين أن هناك فورة تفترى علينا ، وأن هناك تريفاً لتاريخنا ، والمدهش أنه ينطلى على بعض الإسلاميين .. ففى نفس العدد من

(١) (فى منزل الوحى) ص ٢٢ - ٢٦ .

جريدة «الحياة» - الذي أشرت إليه سابقاً - نجد الشيخ يوسف
 البدرى يفترى على رفاعة الطهطاوى .. ونحن نعلم أن المرحوم
 محمد محمد حسين فى كتابه «الاتجاهات الوطنية فى الأدب» نجد أن
 طبعته الأولى برئت من الهجوم على هؤلاء الرموز والأعلام المجددين ،
 بينما الطبعة الثانية - للأسف الشديد - كتب فيها كلاماً سيئاً حين
 جعل كل هذه الرموز متغربة ، وعملاء ! وذلك لأنه وقع فى حيل
 كتاب المستشرق يهودى اسمه «إلى كادورى» قال فيه : أن الأفغانى
 ومحمد عبده والطهطاوى ملحدون فتنى محمد حسين هذا الكلام ١٩ .
 وكتابه يعد من الكتب التى لعبت أسوأ الأدوار لدى شريحة من الحركة
 الإسلامية ، ولذلك نجد يوسف البدرى يقول عن رفاعة الطهطاوى -
 بجريدة الحياة «... رفاعة الطهطاوى الذى ذهب إلى باريس إماماً لعدة
 علمية ، وعاد إماماً للتثوير الذى يعنى العلمانية ، وإقصاء الدين عن
 الحياة» فيتفق هذا النفر من الإسلاميين مع العلمانيين فى تشويه
 الطهطاوى الذى رأينا نقده «للموضعية العربية» ودفاعه عن «الشرع»
 كمعيار للتحسين والتفحيح ، وإنحيازه إلى «بحر الشريعة الغراء» ضد
 القانون الوضعى الغربى!..

سلامة موسى (١٣٠٥ - ١٣٧٧ هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٨ م) .

فى نهاية هذا الإستعراض ، لا يريد أن نحرّم أخواننا العلمانيين من

بعض رموزهم .. خاصة وهم يضعون سلامة موسى في قائمة «أعلام التنوير»! ونحن نقول لهم نعم أنتم محقون «فاليكم سلامة موسى» .. فهو الوحيد الذين تُعدون امتدادا له .. حيث تتبعون من نفس المنبع الفكري ! .. ومشروع سلامة موسى يمكن أن نطلق عليه : مشروع «العمالة الحضارية» وأنا لا أنهجه بأنه كان عميلا سياسيا .. وإنما كان عميلا «حضاريا» ، يريد أن يلفي حضارتنا ، كي تصبح أوروبية ..

وهو لم يبدأ من فراغ .. بل سبقه «المعلم يعقوب» ١٧٤٥م - ١٨٠١م الذي كون الفيلق القبطي ، والذي تعاون مع نابليون ، والذي أطلق عليه الجبرتي إسم «يعقوب اللعين» ! .. وكان من شروط جلاء الحملة الفرنسية عن مصر أن يحلوا «يعقوب اللعين» مع فيلقه القبطي مع جنود الحملة؟! .. وحينما كان على السفينة كان مرض بالحمى ، ثم مات ، فقام الجنود الفرنسيون بوضعه في برميل خصر وقذفوه في البحر .. وبعدها وجدنا وصيته التي أعطاهها لريان السفينة ليعطيها للسامة الإنجليزي مطالبا أن يقوم الإنجليزي بإرسال قوة تخلص مصر ، كي تصبح مصر تابعة للغرب ، وتنقطع صلتها نهائيا بتاريخها الإسلامي ومحبطها العربي والإسلامي .. ثم جاء لويس عوض وكتب عن مشروع «يعقوب اللعين» فقال إنه «أول مشروع لإستقلال مصر» !! وكذلك

أطلق نفس هذه العبارة شفيق غريال .. وهكذا وضع «يعقوب النعین»
مع قادة وزعماء وأبطال مصر !!

والحقيقة أن أول من فكر في مضمون مصطلح «استقلال»
مصر عن تاريخها وتراثها ومحيطها هو «المعلم يعقوب» ، ثم جاءت
مدرسة المؤامرة الذين هربوا من الشام وجاءوا إلى مصر في ظل «كرومر»
والحكم البريطاني ، وأصدروا «المقطم» و «المفتطم» وأصبحوا يمثلون
أركان المندوب السامي والحماية البريطانية (يعقوب صروف - وشاهين
مكاربوس - فارس نصر) ، ولأنهم أقلية مارونية مسيحية كان من
الصعب أن يقدموا المسيحية بديلا للإسلام في مشروع النهضة ، ولذلك
قدموا الغرب كبديل للحضارة الإسلامية والمشروع الإسلامي .

والتقط منهم الخيط سلامة موسى ثم لويس عوض ثم غالى
شكري ، وتلاميذ العلمانية الموجودون الآن على الساحة .

وكلمات سلامة موسى تشمل مشروعه الذي كان يرمى من
ورائه إلى الحاق الوطن بالغرب من الناحية الحضارية ، ولقد اعتبر
مصطفى كامل ووطنيته لونا من الارتداد عن الوطنية فنجده يقول :
« لقد حدث ارتداد في الفكرة الوطنية بظهور مصطفى كامل
(١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ - ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م) والحديوي عباس

والإخوان المسلمين ومصر الفتاة واللجنة العليا للحزب الوطني والطباط
الأحرار ، ، وقال أن التيار الوطني التقدمي هو الذي «إختار الإستعمار
الإنگليزي المتقدم على الدولة العثمانية المتخلفة» !!

وبالمطابقة أنه إلى أن إستخدام كلمة «آسياء» كما وردت في
كتاب سلامة موسى - «آسياء التي دعا إلى الخروج منها - هي أيضا
يستخدمها المستشرقون ، وهي تعني «الإسلام» وأذكر هنا «هانتوتو»
(١٨٥٣ - ١٩٤٤ م) الذي تكلم عن تونس وقال أنها بدأت تنحار
للتغريب وتطوع للفكر الفرنسي أي الحضارة المسيحية الآرية ويقول أيضا
« يوجد الآن بلد وأرض تنقلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضي
الآسيوي .. » (١) !

وحينما يأتي اليوم الدكتور/ جابر عصفور - الذي يقود حملة
التصوير - فيكتب في جريدة «الحياة» ويقول : «لا ينبغي أن تشغل
بسؤال الهوية .. فلا أحد يشغل نفسه بسؤال الهوية القومية» (٢) أي أن
هؤلاء قد وصلوا إلى موقع زعيمهم ورائدهم سلامة موسى !

(١) (الإسلام والرد على متفديه) مجموعة من العلماء ص ٢٧ طبعة القاهرة سنة

١٩٢٨ م

(٢) صحيفة (الحياة) اللبنانية - عدد ٥ / ٥ / ١٩٩٣ م.

أما عن موقفهم من اللغة العربية ، فيجب أن نقارن بينهم وبين
 عثة الاستعماريين مثل «ويل كوكس» الإنجليزي الذي دعا إلى الكتابة
 بالعامة ، وغيره من الذين دعوا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .. وأنشؤوا
 وما فعله في الحرف العربي ، والاستعمار الروسي وما فعله بالحرف العربي
 في آسيا الوسطى ، والفرنسيون وما صنعوه باللغة العربية في الجزائر
 وتونس والمغرب .. كلنا نعلم هذه القصة التي تحاك ضد اللغة العربية
 باعتبارها أحد مقومات الشخصية العربية ، ولغة القرآن .. وعن هذه اللغة
 كتب عنها سلامة موسى يقول : « إن المتعمق في اللغة الفصحى
 يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد ، فنظرة متجه بهذا نحو الشرق ،
 وثقافته كلها عربية شرقية مع أننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى
 الاتجاه نحو الغرب ، والثقافة تغزر الذوق والتزعة ، وليس من مصلحة
 الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق » (١١) .

ثم يقول أن اللغة تحمل عقيدة - وهذا ما جعل « إن الشرفي »
 وزير التعليم التونسي الحالي يتراجع عن مشروع التعريب ويقول
 « إن الحرف العربي يؤدي إلى الاتجاه العبي » - (الاتجاه إلى الإسلام) !!
 ونفس هذا الكلام رده سلامة موسى قائلا عن تراننا « إنه نراث لعوى

(١١) (اليوم والغدا) ص ٤

، يحمل عقيدة إجتماعية يجب أن نحاربها ! فالعربية ليست لغة
 الديمقراطية و الأتومبيل والتليفون ، بل لغة القرآن و تقاليد العرب !!
 وبهذه المناسبة سوف أقرأ عليكم نصا لأول مقيم عام فرنسى
 بالمغرب سنة ١٩١٢ ويدعى « ليونى » قال فيه : « أن اللغة العربية تجر
 إلى الإسلام ، لأن هذه اللغة تُتَلَمَّ في القرآن ، هذا فى حين أن
 مصلحتنا تختم علينا العمل على جعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام
 ، ومن الناحية اللغوية يجب أن نعمل على الانتقال مباشرة من البربرية
 إلى الفرنسية ^(١) ثم يأتى أيضا لويس عوض ويقول : « أن اللغة العربية
 لغة السادة ، وعلى العبيد - أصحاب العامة - أن يحضروا قيود السادة !!
 وأن اللغة العربية تشبه اللغة اللاتينية وكما قامت فى الغرب اللغات
 الإنجليزية والفرنسية على أنقاض اللاتينية كذلك يجب أن تسود العامة
 على أنقاض الفصحى ؟! » ثم طالب بأن تكون اللغة العربية لغة الكهنة
 أى علماء الإسلام ، ونادى باللغة العامة ، كل هذا من أجل تقطيع
 أوصال العالم العربى والإسلامى وحتى لا نستطيع أن نقرأ القرآن ..
 مثلما فعل أتاتورك فى تركيا ؟!

(١) د. محمد عابد الجاوى : تطور العلم القومى فى المغرب - ص ٤٤ - طبعة بيروت سنة

هذا هو فكر من يسعون بزعماء التنوير ، وهذا هو الافتراء الذي أرادوا به إفتراء الرموز الإسلامية من الموقع الإحيائي والتجديدي للفكر الإسلامي ، ولذلك عندما يقال أن مشروع التنوير بدأ ، لكنه إنحدر وتحول إلى محنة تنوير - كما كتب جابر عصفور - نقول لهم : أن المحنة محتهم هم وليست محنة مشروع التنوير بالمعنى الذي نفهمه نحن لأن هذا المد الإسلامي واليقظة الإسلامية هي إمتداد لهذا المشروع الإسلامي الإحيائي والتجديدي ، أما الضمور الذي أصاب ويصيب مشروع « يعقوب اللعين » ولويس عوض وسلامة موسى وتلاميذهم .. فهذه محنة مشروعهم ..

ونحن حقيقة لسنا أمام مشروع تنويري تراجع ، وإنما أمام مشروع تنويري إسلامي يستنير بنور الله والإسلام والرسول - ﷺ - أما مشروعهم « لا سلطان على العقل إلا العقل » فهو الذي يعالى في أوساطنا الآن هذه المحنة . ونحن الآن أمام مشروعين - أحدهما مرجعيته الإسلام ، والآخر مرجعيته الغرب .. والحقيقة أن هناك تحدياً أمام المسلمين وعلمائهم ، وهو أنه إذا كان الإستعمار قد ترك الأقطار ورحل إلا أنه ترك المؤسسات في أيدي هؤلاء المتخربين وعلمنا أن توجد المؤسسات الإسلامية التي تمارس التنوير الإسلامي الذي هو نور الله حتى يتم وعده ويبلغ الكتاب أجله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعليقات الحضور

د . توفيق الشاوي : أستاذ القانون بحقوق القاهرة

التوير في أوروبا كان يُقصد به كشف الظلام الذي كانت تخيا فيه (العصور المظلمة) في ظل سلطة الكهنوت ، أما نحن فإنا لم نحر بهذه العصور ، بل كانت عصورنا الوسطى هي عصور الأُمجاد الزاهرة ، ولذلك ليس هناك مبرر لما يدعيه العلمانيون عندنا من ضرورة تنويرنا .. وذلك لأنهم لا يقصدون إلا تحطيم الأصول الإسلامية .. ولذلك أرجو من د. عمارة والآخرين أن يبرزوا لنا - وبصورة متواصلة - الفرق بين نظرية التجديد الإسلامي ومقوماته وأصحابه ، وبين أدعياء التوير ، لأنهم في الحقيقة ليسوا تنويريين ، بل هم ظلاميون ، يريدون إلحاق شعبنا بالشعوب الأجنبية الاستعمارية .

ولا ننسى أن شبه إلى بعض الإسلاميين قوى العقول الجامدة ، الذين يدافعون عن التخلف ويصفونه بأنه إسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم ورحمة الله .

٢ . محفوفة عزام : استاذ الفلسفة

نشكر د . عمارة على كلمته الجامعة المانعة التي وضحت لنا مفهوم التنوير .. ومعروف أن مفهوم التنوير ظهر في القرن الثامن عشر في أوروبا على يد المدرسة الفرنسية وكان من أهم أعلامها فولتير ، وبنج ، وبيرو .. وهؤلاء الثلاثة فلاسفة ماديون يقولون بأزلية المادة وأبديتها .. إذن متعلقهم هو إحلال المادة محل الله ، ثم يحل العقل محل الله ، ومن الخطأ أن نستخدم مصطلح « التنوير » في مجتمعاتنا الإسلامية لأن فيه تلبساً على الناس ، ومن هنا فعلى المفكرين أن يقدمون لنا بعض الرسائل الخاصة بمفاهيم التنوير والعثمانية ، خاصة وأن الناس يفتنون بين العلم والعلمانية موقفاً حائراً .. بل ويخلطون بينهما ويعتبرون أن العلمانية مأخوذة من العلم .. مع أن العلمانية هي العالمية وكانت في الأصل تسمى « العالمية » ثم تحولت إلى العلمانية وهي تعنى الفصل التام بين الحياة والدين ، سواء كانت هذه الحياة لأمة أو لشخص أو مجتمع .

أما فيما يتعلق بالشيخ علي عبد الرزاق يقال أنه نادى بتطبيق الشريعة في مجلس النواب .. أي أن تكون الشريعة هي المصدر للقوانين .. وفيما يتعلق بمحمد حسين هيكل فقد كان معجباً بالحضارة الغربية إلا أنه رجع في النهاية إلى الأصول الإسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم .. حقيقة أشق على د . عمارة من
الهجمة الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام ضد الإسلام ، وأدعو
جميع المفكرين بأن يدلى كل منهم بدلوه في التصدي لهذه الهجمات
لأننا بالفعل - وفي هذا العصر - تعيش في محنة شديدة ، ويجب
على كل فكر أن يجتهد وأن تتضامن جميعا في توضيح الحقيقة ..
والحقيقة دائما في صف الإسلام .

أود التركيز على أن أعداء الإسلام في تقديمهم لشرعة الإسلام
ينحئون دائما إلى التاريخ الإسلامي ، ويتبعون منها إلتقاءيا إختباريا .
حيث ينتفون من النصوص ما يتفق مع أغراضهم .. وهذه العلمية
تتنافى مع المنهج العلمي لأنهم يفصلون النصوص عن سياقها لخدمة
أيديولوجية مسبقة يتبنونها .. وقد فعلوا هذا مرارا بدءا من آراء أبي
حامد الغزالي وموقفه من العلم ، وكيف أنه رفض العلوم الطبيعية ، رغم
أنه كان أمينا في عرض القضية ، ووضح الفرق بين فرض العيين وفرض
الكفاية وطالب بتعليم الطب والرياضيات ، وكل ما في الأمر أنه قال أن
التعمق في بعض العلوم الطبيعية كالرياضيات قد يشير بعض الأسئلة -
عند المتعلم - التي يكون غير قادر على إستيعابها .. وهذا قد يؤدي إلى

نوع من الانحراف .. ورؤيته هذه كانت في إطار عصره الذي عجز
بالآراء والتعريفات الفلسفية المختلفة .

أريد أن أثبه إلى أننا لا نتشبهت بجمال الدين الأفغاني أو بمحمد
عبده كأشخاص .. بل ندرسهم وندرس تاريخهم من واقع منهج علمي ،
ونقول ما لهم وما عليهم ، وهدفنا في النهاية هو الوصول إلى
الحقيقة . ونقطة أخيرة أشير إليها أننا نجد من بين الكتاب الإسلاميين
من يروج للعلمانية ، بل ويضع لها تعريفات تخالف حقيقة التعريف
المتبع أصلاً عند الغرب والذي يتبناه دعاة التنوير في عصرنا ، وأضرب
مثالاً به « وحيد الدين خان » حيث له مؤلفات كثيرة منها « الإسلام
ينحذى » .. ولكن للأسف في آخر كتاب له في طبعته العربية
« الإسلام الكامل » وجدته ينادي بضرورة اتباع العلمانية باعتبارها تعنى
عدم تدخل الدين في شؤون الدولة ، ويضيف أنه نظراً لسلطة الكنيسة
القوية اعتبرت أن هذا عداً للديانة المسيحية و لذلك إفتعت الكنيسة
هذا العدا (!!) .. وأنا العلمانية تعنى الفصل بين الدين والدولة فصلاً
يحول دون تدخل كل منهما في الآخر ، ويزعّم « وحيد الدين خان »
أن العلمانية فرصة ذهبية لأن يؤدي المسلمون دعوتهم بحرية !! وضرب
مثلاً بصلح الحديبية الذي أتاح الفرصة لحرية الدعوة الإسلامية لعشر

سنوات ، فالعلمانية التي لا تتدخل في شؤون الأديان تتيح الفرصة للدعوة الإسلامية إلى الأبد !! هذه الآراء غريبة خاصة وأنها تستشهد بصحيفة المدينة .. بحج أن نطق لما يث في الفكر الإسلامي حتى فيمن يسمون أنفسهم بالإسلاميين وهذا يعطى بعدا لشرامة الهجمة ، وكيف يساق في إطار هذه الهجمة بعض الإسلاميين لتأثرى عن قصد أو عن جهل .. وشكرا .

فضيلة الشيخ محمد الغزالي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أشعر بأن هذه الفترة من تاريخنا من أشد الفترات سوادا في التاريخ الإسلامي الطويل ، لأن الهجوم على الإسلام تمتد من جميع الجهات من شرق وغرب ، وأذكر أنني كنت أقرأ بالأمس في مجلة تقول أن الحكومة الهندوسية في الهند استطاعت أن تصحى ٧٤ ألف مسلم بالهند ، وأن تفرض عليهم الهندوسية ، وبدأت في مطاردة كل كلمة لا إله إلا الله محمدا رسول الله ، بل وحرقوا الموتى المسلمين وبدأت تغير في تقاليد الزواج .. وأشياء أخرى كثيرة .. هذا يقع في الهند وفي أوروبا وفي البوسنة .. وهو يعنى أن شعبة من شعب الهجوم على العالم الإسلامي والتي كانت عسكرية .. إتجهت إلينا الآن وتحولت إلى ثقافية .. وأن ما يسمى بحركة التنوير ما هي إلا

شعبة هجوم صليبي صهيوني ونرى كى يضرب الإسلام في صميمه ،
والإسلام الذى يضرب ليس هو دين محمد بالمعنى المحدد بل هو الدين
كله والوحى كله بل ورسالات السماء كلها ، فإن حدث وضاع
الإسلام فلن يبقى على الأرض دين ، وستختفى المروحاتية والغييات
كلها من على سطح الأرض .

ولهذا أريد أن نشعر بحضرة الواجب الذى ربطه القدر فى اعتقادنا
فى هذه الأيام ، أما أن الناس فيهم من يخدم الضلال إلى أن يموت
فهذه طبيعة نبها إليها الإسلام « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
.. قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم فى الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » . أن أبا جهل ظل إلى آخر
رمق يقول مناجيا الله « اللهم من كان أقطع منا للرحم فأذه اليوم »
فقد كان يظن أنه أولى بالنحر من محمد ، لقد كان معباً بالكفر من
رأسه إلى قدمه ومن قدمه إلى رأسه ، فإذا وجدنا أن هذه النماذج من
الكافرين موجودة ، فلنسأل أنفسنا .. هل أمكننا أن نضع نماذج
للإسلام نستطيع أن تقاوم هذا الزيف ونضرب هذا الضلال ؟ أن شعبا
لازال يقول بصوت عال « الإسلام هو الحل » لكننا نريد أن نشبع هذه
الكلمة ، وأن يشبع من وراثتها تأصيل علمي - كالذى قدمه لنا

الدكتور عمارة الآن - حتى يعلم الناس أن هؤلاء ليسوا طليعة تقدمية ، بل كتيبة رجعية حقيرة ، وأنهم يخدمون نزوات الإستعمار العالمي الكاره للإسلام الحاقق للشعوب الذي يريد أن يعود بالناس جميعا للفقر إلى أيام ما فتحت أمريكا الجنوبية والشمالية ، وأن يبدأ العالم كله يعيش فى ضلمة الصليبية العالمية ، فهؤلاء يخدمون للأسف أغراضا من الخارج ، ولذلك نخدمهم قوى جنية وخفية تكره الإسلام وتنفيق به ، ويريد القضاء على الإسلام واتباعه .

كل ما أبغبه الآن هو أن التجديد الذى لابد منه للأمة الإسلامية ، حتى تكون أهلا للبقاء ، هو تجلية حقائقها هى ، وتلميع هذه الحقائق ، حتى لا تنكشف أمورها أمام العيون المتطلعة إلى النور ، ولكن لدينا الآن نوعان من الناس ، نوع ينتمى إلى الإسلام وهو خطر عليه ، خاصة وأنه لا يدرك من الإسلام شيئا ، وربما أحب ما فعل فى التاريخ الإسلامى كان من صنع الجهلة به والمجاهدين له .. وهذا النوع موجود الآن ومهمته محاربة الأفغانى والطهطاوى ومحمد عبده ، وسعد زغلول بل وحسن البنا وكل من فيه نصارة فى فكره الدينى وقدرة على توحيه الأمة لفعل الخير .. وننبه إلى أن هؤلاء الأعداء خطرون على الناس .. أما النوع الثانى فهو الإستعمار الثقافى .. الذى زلزل التعليم

الدينى من ٤٠ سنة ، حين استطفاع التأثير على حركة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ ، فجعلها تلقى - عن طريق طه حسين - التعليم الأولى والإلزامى وتعليم القرآن الكريم وحمل القرآن بعيدا عن مناهج الدراسة الأولية التى كنا نعيش بها .. وبذلك ماتت الكشائب وما يشبهها ، وأصبح الغائب يخرج من المدرسة الابتدائية ولا شئ عنده من القرآن ثم جد الآن أن ثقافتنا فى حضارة لجنة أمريكية ، استطاعت أن تمحو من التاريخ ما تمحو ، ومن السن والآيات كذلك ، ووجدنا أنفسنا أمام تزوير ثقافى خطير يخدم هذا التزوير أو يخدمه هذا التزوير الذى تعيشه أمتنا الإسلامية - الأمر يحتاج إلى أن ندرك أن الواجب علينا ثقيل ، ويستدعى يقظة ، وأن الأمر جد ، وأن الإسلام فى خطر ، وأن دعوة التوحيد تنهددها الثغام موقوتة وغير موقوتة كى نكشفها من جذورها ، والله المستعان على أن نقوم بحفظ ديننا وراثتنا - والله ولي التوفيق

د . محمد عبد الواحد طرابيزة : قسم الصحافة بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم .. لقد وضع لنا الفرق الشاسع بين النور والظلام ، بين مستنقع التنوير وقافلة التنوير الإسلامية .. هذا المستنقع وجد المجال خصا فى أجهزة وسائل الإعلام الأمريكية ، التى نبئت هذه الأفكار الرجعية الاستعمارية أفصح المجال كى تدخل

وتزيف الثقافة الإسلامية ، والسؤال الوارد الآن .. أين دور الأزهر بقيادته
 وجامعته ومؤسساته في محاربة هذه الظاهرة المستكبرة ؟ .. ومن وجهة
 نظري أن السبيل للقضاء عليها ، بجانب دور الصحافة الإسلامية ، هو
 أن يقوم الأزهر بإصدار موسوعة للتنوير الإسلامي ، يكتب فيها مشايخنا
 الأفاضل ، وأن تنشر عالميا ، وحيدا لو كان عن طريق المعهد العالمي
 للفكر الإسلامي ، لتوضيح مفهوم التنوير في الإسلام والفرق بينه وبين
 الجهالة

تنصيب الغباشي : صحفي

بسم الله الرحمن الرحيم .. الفكر العلماني له خط موصول
 منذ أن بدأت بثأيره في متطقتنا العربية على يد أصحاب « المقطم » و «
 المقتطف » وانتهى ، بجابر عصفور رئيس قسم اللغة بكلية الآداب بجامعة
 القاهرة .. وطالما أن الفكر العلماني موصول الخطوات .. فهل هذا
 التواصل ثم بفعل فاعل أم مصادفة ؟ أعتقد أن هناك برنامج ومخطط
 عالمي قديم منذ أجدادهم في الجزيرة العربية .. وكل جيل يأتي يصيف
 ويعدل طبقا لتطورات عصره ، وهم مخلصون لخطتهم وأنساءل أين
 خطتنا وبرنامجنا ؟

من السلسلة التي تصدرها الهيئة العامة للكتاب كتيب جديدة
منها كتابات الإمام محمد عبده .. وأسماء أين كتابات الشيخ
الغزالي ؟ أين كتابات د . محمد عمارة ؟ بل وأين نحن من تحديد
المصطلحات ؟ .. نريد أن نتفق على مدلولات ومفاهيم معينة لبعض
المصطلحات حتى نرى أين تضع أقدامنا .

محمد مأمون : مهندس استشاري

أوجه تحية لأستاذنا الدكتور عمارة .. وأحبه كذلك على تغييره
الذي استخدمه « الإنجاز التاريخي » لأن هذه قضية هامة جدا ، وفي
تصورى أن أول من إنجاز التقييم هو الإمام « أبو حامد الغزالي » في
رحلته من « المتقذ من الضلال » حيث أنه إنجاز في النهاية إلى فكرة
الإسلام الصحيحة الشاملة التي تشمل القلب والفعل والسلوك والفقه ..
وعصرنا الحديث شهد مجموعة من الأعلام تمثل الصفوة التي تمتلك
الضمير والرؤية واليقين .. وأصبح إنجازها الإسلامي كفكرة شاملة
وكحل نهائي لمشاكل الإنسانية كلها شاهدا للإسلام ، كما هو شاهد
لهم ومنهم إستاذنا الدكتور محمد عمارة .. وإستاذنا المستشار طارق
المشرى .

مهم جدا أن نركز على أن العلمانية هي النتيجة الباقية للإستعمار.. وأن فصائل العلمانية أعطيت مساحات في الصحف ووسائل الإعلام ، وأصبح لها ضجيج .. وأتمنى على الله أن نتعامل مع العلمانية بهذا المفهوم ، وأطالب المعهد العالمي ببدء حملة لنشر مؤلفات د . عمارة والشيخ الغزالي في مقابل الحملة التي تقوم بها الهيئة العامة للكتاب .

د . محمد عبده صيام :

بسم الله الرحمن الرحيم .. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجرى عالمنا المجاهد د . محمد عمارة خير الجزاء . وفي هذه المناسبة أتبه إلى أن هناك بعض الإسلاميين الذين يشوهون الحركة الإسلامية أو يهبطون التراب على بعض رؤوس علمائنا .. وأذكر هنا شيخنا الغزالي الذي يهال على رأسه التراب بعد ظهور كتابه « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » فصدر ما يقرب من ١٥ كتابا منهم كتاب أنفه استاذ مساعد بكلية أصول الدين وقدم لهذا الكتاب رئيس القسم وعنوان الكتاب « جناية الشيخ الغزالي على السنة النبوية » ، وأتمنى من الدكتور محمد عمارة أن يزيل التراب من على رأس هذا الشيخ الجليل مثلما فعل مع الطهطاوي والأفغانى وغيرهما

٥ - علي جمعة:

هكذا إنتهت التعقيبات وبعضى الكلمة لأستاذنا الدكتور محمد
عمارة .

٦ - محمد عمارة:

شكرا للسادة الأفاضل المعلقين .. وأبدأ بردى على سؤال ورد
من أحد الحضور بمساءل لماذا لم أعط أمثلة من الإجتهااد فى عصرنا
الحديث ؟ .. مثلما فعلت حينما أوردت أمثلة عن الإجتهااد فى عهد
عمر بن الخطاب فى كتابى « معالم المنهج الإسلامى » ؟! - والحقيقة
أننى قد أجبت عن هذا السؤال فى الكتاب حيث قلت أننى أريد أن
أقدم نماذج من الإجتهااد فى العصور الأولى ، وهى فترة إتسعت فيها
دولة الإسلام - فى عهد عمر - ولم تعد الدولة قاصرة فقط على شبه
الجزيرة العربية .. ولأن الإجتهااد فى هذه الفترة لم يكن موضوع جدل
من تيارات الفكر الإسلامى .

أما عن موضوع د . نصر حامد أبو زيد - كما جاء فى بقية
السؤال - أقول أن هذا الأستاذ وآخرين يحفرون تحت أساليب الإسلام
ولقد رددت فى كتابى « الإسلام والسياسة » على العلمانيين بشكل

عام ، خاصة فرج فودة ، وفؤاد زكريا .. ومع ذلك فأنا أفتق مع
 صاحب السؤال بأن هناك مشاريع تلبس لباسا عظاميا .. يقوم بها أساتذة
 يجب ألا نستهي بها كتبهم .. والحقيقة ، لا أكتفكم ، أنى قرأت
 كل ما كتب ضد نصر حامد أبو زيد فى الفترة الأخيرة ، ولم يعجبني ،
 لأنه لم يصل إلى حقيقة المشروع الذى يقدمه ، وهو موضوع « تاريخية
 النصوص » و « التأويل غير المضبوط بقواعد العربية » : وقد أشرت - فى
 أحد الصحف - إلى أن المنهج الذى بدأه « أركون » ونصر أبو زيد
 وغيره تلامذة فى مدرسته .. وهؤلاء ، صرحهم فى صفوف نقادىانية
 والبهائية والبابية بالإضافة إلى محمد محمود طه .. وذلك لأنهم يشرون
 بشرائع جديدة .. لأنه إذا كان الإسلام تاريخيا .. ونصوصه مرتبطة
 بأسباب النزول ، وإذا كانت الآية القرآنية التى نقول ننبى أن يحكم بين
 الناس بما أراه الله .. خاصة بالرسول .. وأن أغلب آيات القرآن موحية
 للرسول أو لأسباب نزول معينة مرتبطة بحوادث تاريخية .. نقول لهؤلاء
 أنكم تريدون نسخ الإسلام .. علينا بالفعل أن نقدم مشاريع فكرية لأن
 هذه مسئوليتنا جميعا .. وأدعو الله تعالى أن يوفقنا و الحقيقة أنى
 كنت صاحب إقتراح أطلقت عليه « المرصد الفكرى » كى نرصد
 تيارات الفكر المواتية والمعادية .

أحد الأخوة وصلني سؤال منه حول وضع الأمة الإسلامية بالنسبة لقضية اليوسنة والهرسك .. أقول أن هذه القضية تحدثنا عنها في ندوات كثيرة وهي ليست موضوع ندواتنا الحالية .

لدى سؤال مهم حول ضرورة تحرير المصطلحات .. والحقيقة أنني في بداية الندوة أشرت إلى هذا . ويبدو أن صاحب السؤال لم يحضر من بداية الندوة : و قلت أن القضية هي قضية تحرير مضمون المصطلحات . وحقيقة أنا مهتم جداً بهذه القضية سواء فيما كتبت عن العلمانية ، أو في مقدمة لقاموس المصطلحات الاقتصادية - وقد طبع مؤخراً - كتبت في المقدمة عن الرسالة الحضارية للمصطلحات ، وكيف أن المصطلحات أوعية تستخدم في حضارات مختلفة ولكن بمضامين مختلفة .. وهذا نراه في موضوعات كثيرة « كالدين » « السياسة » « واليبار » « والتوحيد » « والإقطاع » .. فكل هذه مصطلحات تستخدم لكن لها مضامين مختلفة في الحضارات المختلفة

بالنسبة للدكتور أحمد فؤاد باشا الذي تكلم عن التاريخ ، وكيف أن هناك منهج خاطيء عند المتغربين في نظرتهم إلى التاريخ .. ولقد تناولنا هذا في مناظرتنا مع العلمانيين ، وكيف أنهم يستقون تاريخنا من كتاب « ألف ليلة وليلة » .. كما أنهم يستغلون فكرة

إنحراف « الدولة » ... ونحن نقول لهم أن « الأمة » هي التي صنعت الحضارة .. وأن « الأمة » ليست هي « الدولة » وفي آخر ندوة شاركت فيها كانت حول « دور الأوقاف في صناعة الحضارة الإسلامية » ركزت فيها على هذه القضية .. قضية كيف صنعت « الأمة » أعظم الحضارات في ظل إنحراف « الدولة » وذلك لأن الدولة كان حجمها محدودا ، ونطاق نفوذها محدودا .. وبالتالي لم تكن هي الدولة التي نحيا في ظلها الآن .. والتي تقسم على الناس مضاجعهم ، ونملك كل الأشياء بيديها .. أقول أنه من الخطأ أن ينظروا إلى تاريخنا بحتظار غربي .. أي أنهم ينظرون للمخلاق على أنها كميته .. وللإسلام على أنه كهوت .

وحول موضوع الموقف من الإمام أبي حامد الغزالي .. أقول أن الغزالي فهم بصورة خاطئة في موضوع المسبية .. وقد كتبت عد في كتابي « معالم المنهج الإسلامي » ، وأنه لم يكن هناك خلاف حقيقي بينه وبين ابن رشد في قضية علاقة الأسباب بالمسببات ، وهذه المسألة نخفي على الكثيرين ممن يرون في الغزالي أنه هرم الفلسفة والعقل والعقلانية .. وحول موقفه من بعض العلوم من أنها تحتاج إلى متخصصين فهذا أيضا هو موقف كل عالم يشعر بالمسؤولية .. وإلى الآن

نقول أن الناس لو قرأت « ابن عربي » تفضل وتكفر .. ولكن بعض الذين يفهمون مصطلحاته من الممكن أن يأخذوا منه ويختلفوا أو يتفقوا معه .. ولا ننسى أننا حتى في ظل عصر العلم الذي نحيا فيه ، نجد أن كتب السحر تحرم قراءتها في بعض المكتبات إلا لمن يقوم بإعداد دراسة علمية .. وهكذا ليس عيباً أن يطالب بعض العلماء بأن تقتصر بعض العلوم على المتخصصين فيها فقط .

وأما عن « وحيد الدين خان » فأنا أرى أن بعض الناس يخلطون في موضوع العلمانية .. فالعلمانية قد تكون مفهومة ومبررة في اجتماعات المسيحية ، لأنهم يقولون « دع ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله » ولكنها لا يمكن أن تكون مبررة في اجتماع الإسلام حيث الإسلام فيه دين ودولة .. وهذا لا يمنع أن بعض إخواننا من الإسلاميين يقولون أن العلمانية في الغرب تفتح الباب أمام الدعوة الإسلامية ، ولكن هذا لم يكن ليحدث لو كانت الكنيسة هي الحاكمة .. نقول لهؤلاء أن هذه القضية مختلفة تماماً مع قضية أن العلمانية كحل غربي لمشكلة غربية ، ويراد إستيرادها لبيئة إسلامية لا علاقة لها بهذه المشكلة ولا بهذا الحل الغربي .. وإذا كان « وحيد الدين خان » قد استشهد بالصحيفة - التي هي دستور دولة المدينة - على العلمانية

.. فهذا الكلام يعتبره غريبا .. لأن الآية القرآنية تقول ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أى أنها تجعل المرجعية الكتاب والسنة شرطا للإيمان بالله وباليوم الآخر .. هذه الآية كانت مادة للمصحيفة - دستور دولة أهل المدينة - التي جاء فيها « وما كان بين أهل هذه الصحيفة من إشجار يخاف فساده فمرده إلى الله وإلى محمد » .. إذن لا يمكن أن يقال أن الصحيفة شاهد على العلمانية التي تخرج مرجعية للكتاب والسنة من العمران .

وأني مرة أخرى إلى أنه ليست كل أسباب إبهام أمثنا هي أسباب وعوامل خارجية .. فالعوامل الداخلية أيضا تلعب دورا .. وأذكر أن مشول الترجمة في المركز الفرنسي في القاهرة أبلغني بأن مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في المغرب ترجمت كتاب « على عبد الرازق إلى اللغة الفرنسية !! فإذا كانت هذه مؤسسة داخلية قامت بهذا .. إلا أنني أتساءل : من الذي يصنع هذه المخططات ويشرف على هذه الترجمات ؟ وحتى فؤاد زكريا الذي يحمل إسما ويعيش في مجتمعنا ، ولكن من الذي يلتفت له بعض مقالاته وترجمتها إلى الفرنسية ليعطيه جائزة فرنسية ؟ الأمر صادر من السفير الفرنسي بالقاهرة ، وهذه حقيقة أنا أعلمها من أناس ليس لهم علاقة بالإسلام أو بالإسلاميين .. إذن

كثير مما نسميه بالعوامل الداخلية ، هي عوامل إما يصنعها الخارج وإما
بحرسها .. وكله مخطط واحد .

وجاءتني ورقة الآن حول إقامة حدود الله .. أقول أن ديننا دين
عدل وليس دين عقوبات فقط .. وهناك ضرورات وأولويات في الشريعة
.. فلنقم عدل الله والإسلام ، ومن يخرج على هذا العدل نقيم عليه
حدود الإسلام .. نحن لا نعتذر ولا نتنازل ، وإنما نضع الأولويات
الطبيعية التي كانت بالفعل منهاج رسول الله ﷺ .. حين صاغ
الإنسان إسلاميا ، ثم صاغ المجتمع إسلاميا .. ثم أقام العقوبات والحدود
والإلى الأخ الذي قال أن العلمانيين ليسوا فريقا واحدا .. أقول
أن هذا صحيح .. فهناك علمانيون خلافتنا معهم في الأصول .. وهؤلاء
هم غلاة العلمانيين الذين يجرحون العقائد .. وأذكر أن أحد القوميين
حكى لي عن جلسة جمعتهم مع فرج فودة - العلماني - في أحد
المتازل ، وكيف أن فرج فودة جلس لمدة ساعة ونصف يحدثهم عن أن
السيدة عائشة - رضى الله عنها - كانت امرأة شاذة فهؤلاء الناس -
وتلك هي بضاعتهم - لا نسميهم مجرد علمانيين ، بل غلاة العلمانيين
.. لأنهم يجرحون الدين والمعتقد وليس خلافتهم مع جماعة إسلامية .
ولكن هناك أنا ما مطلوب أن نحاورهم لوجود مساحة إتفاق بيننا وبينهم ،

ومطلوب أن نكسبهم لفهم كامل الإسلام كمنهاج شامل للمواقع الذى نعيش فيه .

وأخيرا .. عن إستخدامى لبعض الكلمات العامة أثناء حديثى ..
فأنا أدعوكم لقراءة كتاب « رفع الأصبر عن لغة أهل مصر » و الذى رد فيه مؤلفه العامة المصرية إلى « القاموس المحيط » .. وأعتقد أننى لم أقل كلمة عامة تخرج عن هذا الإطار .

وبخصوص المطالبين بالدفاع عن الشيخ الغزالى ، أقول أنه طبعى جدا أن يهاجم كل من يتعرض للعمل العام ، فكما يسمع المديح .. يسمع النقد وأنا أحيانا أطمئن لموقفى الفكرى عندما ينتقده بعض الناس .. وحقيقة نحن نحارب فى جبهتين .. جبهة التغريب والإستلاب الحضارى والهيمنة الغربية ، وجبهة الجمود .. لذلك نستخدم مصطلح « التخلف الموروث » . « والوافد الضار » .. فإذا جاءنا النقد من هذين الفريقين فنحن على الوسطية الإسلامية وعلى المنهاج الوسطى السليم .. فدعونا من انتقادات هؤلاء لأنها تطمئننا أكثر مما تقلقنا ؟! .. بل المدهش أن الإنتقادات والهجوم والتجريح الذى وجه إلى القرآن وإلى الذات الإلهية وإلى رسول الله أثبت فى القرآن آيات نتعبد بها الآن .. ومنهج القرآن يقول « هاتوا برهانكم » ولذلك نحن لا نصادر الفكر

الذى يروجه العلمانيون ، لأننا غير عاجزين عن الرد ، ومع ذلك لا نعبأ
بانتقاداتهم ، بل تنبهنا إلى قضايا وأمور مفروضة أن نخطط للرد عليها ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

